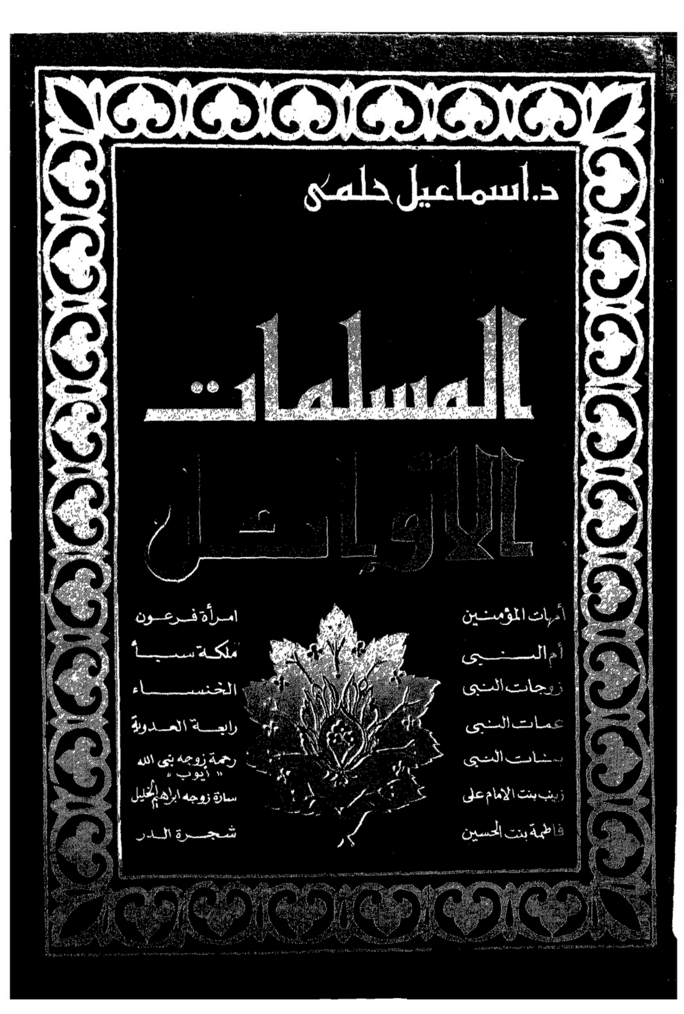


د. اسماعيل حلمى
المسلمات الأوائل
أمهات المؤمنين
أم النبى
زوجات النبى
عمات النبى
بنات النبى
زينب بنت الامام على
فاطمة بنت الحسين
امرأة فرعون
ملكة سبأ
الخنساء
رابعة العدوية
رحمة زوجه نبى الله " أيوب "
سارة زوجه ابراهيم الخليل
شجرة الدر

اهداءات ٢٠٠٢
د/ اسماعيل حلمى
القاهرة

المسلمات الأوائل

د. إسماعيل حلمى

الإهداء

إلى الفتاة المسلمة.
إلى روح أمى
إلى من أحببت...!!
إلى كل مخلصة وغيورة على دينها....
إلى أفضل نساء الجنة...
إلى خديجة وفاطمة وعائشة
إلى السيدة خديجة أم المؤمنات
اهدى كتابى راجيا من الله
النفع به والثواب وحسن رضاه.

الكاتب
د. إسماعيل حلمى

مقدمة

كان لا بد أن يكون هناك للشباب والشابات المسلمات مرجع يذكرهم بالمسلمات الأوائل...

اللذين هم قدموا فى دنياهم وكان جزاؤهم فى آخرتهم نعم الأجر والثواب، حيث تمر الأمة الإسلامية بكثير من مغريات العصر التى هى تجعل القابضة على دينها كالقابض على جمرة من النار.

وكان لبطولات المسلمات الأوائل درسا لابد أن تعيه ولا تنساه كل فتاة وأم مسلمة وتجعله شعارا لها، وإن لم يكن السير فى نفس الطريق.

وعلى هذا كان هذا الكتاب يسرد أخلاق، وطباع، وسيرة بعض من المسلمات الأوائل وزوجات النبى عليه أفضل الصلاة والسلام.

حيث من الضرورى أن يكون هناك بيان يوضح حياة هؤلاء النسوة اللاتى بشرن بالجنة فكان كتابى هذا.

الكاتب

إسماعيل حلمى

أمهات المؤمنين

١ - السيدة آمنة بنت وهب
أم النبى صلى الله عليه وسلم

نسبها - هى السيدة آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مره بن كعب بن لؤى بن غالب أم النبى صلى الله عليه وسلم.

مناقبها - أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها. وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب.

وفاتها - توفيت بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بست سنوات ودفنت (بالأبواء).

والسبب فى دفنها هناك أن (عبد الله) والد الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرا فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة تخرج إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنوات خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله، فلما صارت (بالابواء) منصرفة إلى مكة ماتت بها.

ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بنى النجار بالمدينة وحمل معه آمنة فلما رجع منصرفا إلى مكة ماتت آمنة بالابواء - وقيل: دفنت.(بدار رائعة) وهو موضع بمكة وقيل بمكة فى شعب (أبى

«ب) وكانت من شاعرات العرب المجيدات: ومن شعرها قولها، وهى فى نزع الموت، وكانت نظرت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب بجانبها، فأسفت على تركه صغيرا وأنه سينشأ يتيما من الأب والأم، ولكن تأست بما يناله من الفخر والمجد فى قومه وفى العالم بأسره مما رأته منه فى حال صغره ومما رأته فى منامها فقالت:

«بارك الله فيك من غلام	يابن الذى فى حومة الحمام»
«نجا بعون الملك العلام	فودى غداة الضرب بالسهام»
«بمائة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت فى المنام»
«فأنت مبعوث إلى الأنام	تبعث فى الحل وفى الحرام»
«تبعث بالتوحيد والاسلام	دين أبيك البّر إبراهام»
«فالله أنهاك عن الأصنام	ألاّ تواليها مع الأقوام»

ثم قالت: كل حي ميت وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميته وذكرى باق وأسلمت روحها. وقيل إن بعضهم رثاها بهذه الأبيات:

«نبكى الفتاة البّرة الأمينة	ذات الجمال العَفّة الرزينة»
«زوجة عبد الله والقرينة	أم نبى الله ذى السكينة»
وصاحب المنبر بالمدينة	صارت لدى حفرتها رهينة»
«لو فوديت لفوديت ثمينة	وللمنايا شفرة متينة»
«لا تبقى ظعّانا ولا ظعينة	إلاّ أتت وقطعت وتينه»
«أما دللت أيها الحزينة	عن الذى ذو العرش يعلى دينه»
«فكلنا والهة حزينة	نبكيك للعطلة أو للزينة»

زوجات النبى صلى الله عليه وسلم

قال تعالى (النَبىُ أوْلَى بِالْمؤمِنِنَ منْ أنفُسِهِمْ وَأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ) زوجات النبى صلى الله عليه وسلم اللاتى دخل بهن ولم يفارقهن اثنتا عشرة امرأة، كما جاء بكتاب نور الابصار. عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: «ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى إلا بوحى جاء به جبريل عن ربى عز وجل» **الأولى** منهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشية الأسدية.

وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأعصم. وكان صداقها اثنتى عشرة أوقية نصفها من الذهب ولم يتزوج عليها حتى ماتت وروت حديثا واحدا وسيأتى ذكر قصتها بالتفصيل.

– الثانية (سودة) بنت زمعة: تزوجها عليه الصلاة والسلام فى السنة العاشرة من النبوة وكانت قبله تحت ابن عمها، ولما كبرت أراد طلاقها صلى الله عليه وسلم فسألت الا يفعل وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه.

– الثالثة (عائشة): بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه بن أبى قحافة القرشية: تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع وقيل عشر، وكان مولدها سنة أربع من النبوة (كذا فى المذاهب). وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم كانت أحب نسائه إليه. وكنيتها أم عبد الله ابن أختها اسماء بنت أبى

بكر. وروت عائشة رضى الله عنها ألف حديث ومائتى حديث وعشرة أحاديث. وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى أبو هريرة عليها ودفنت بالبقيع ليلا.

الرابعة (حفصة)، بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية

أمها زينب بنت مظعون بن حبيب. تزوجها صلى الله عليه وسلم فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة على المشهور.

وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين وكان صداقها أربعمائة درهم وروت ستين حديثا. وتوفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم امير المدينة يومئذ.

الخامسة (زينب): بنت خزيمة بن الحارث العربية الهلالية.

تزوجها صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، ثم ماتت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذا ذاك ثلاثين سنة، ولم يمت فى حياته إلا هى وخديجة وريحانة على القول بانها زوجته.

السادسة (أم سلمة) هند بنت أبى أميمة بن المغيرة. تزوجها صلى الله عليه وسلم فى آخر شوال سنة أربع وقيل: سنة اثنتين قالت لولدها: زوجنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها واستدل به على أن الابن يلى عقد أمه، وهو خلاف مذهب الشافعية. روت ثلاثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثا. وتوفيت فى خلافه يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح، وعاشتّ أربعا وثمانين سنة، وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع (مقبرة بالمدينة).

- السابعة (زينب بنت جحش): ابن ريان العربية أمها أميمة

بنت عبد المطلب.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة، فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس من الهجرة وقيل: سنة ثلاث، وقيل أربع. وأصدقها أربعمائة درهم وهي إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة، روت عشرة أحاديث، وتوفيت سنة عشرين: وقيل احدى وعشرين وقد بلغت ثلاثا وخمسين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفنت بالبقيع.

- الثامنة (جويرية بنت الحارث): ابن أبى ضرار الخزاعية المصطلقية. قال ابن هشام: اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ويقال: أسلم أبوها وزوجه إياها. روت سبعة أحاديث وتوفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم.

- التاسعة (ريحانة بنت يزيد) من بنى النضير وكانت من سبى بنى قريظة فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه. وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فأعتقها وتزوجها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها صلى الله عليه سلم لشدة غيرتها عليه. فأكثرت البكاء فراجعها، ولم تزل عنده حتى ماتت فى مرجعه من حجة الوداع ودفنت بالبقيع.

- العاشرة (أم حبيبة): رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس القرشية الاموية.

أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن مظعون زوجها إياه خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة وكانت قد هاجرت إلى الحبشة

مع زوجها عبد الله ابن جحش فتنصر وثبتت هى على الاسلام فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية إلى النجاشى فأمهرها النجاشى عنه أربعمائه دينار وتولى عقد نكاحها خالد لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشى للنبى صلى الله عليه وسلم سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك

ماتت سنة أربع وأربعين.

- الحادية عشرة (صفية بنت حيى): ابن أخطب غير العربية من بنى النضير من بنى اسرائيل من سبط هارون بن عمران. أمها برة بنت شمول:

كان أبوها سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة. اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه من سبى خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة. روت عشرة أحاديث. وتوفيت فى رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع.

- الثانية عشرة (ميمونة بنت الحارث): العربية الهلالية أمها هند بنت عوف بن زهير، وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد. روت ستة وسبعين حديثا وماتت سنة إحدى وخمسين وعاشت ثمانين سنة وهى آخر زوجة تزوجها صلى الله عليه وسلم وآخر من توفى من أزواجه.

توفى صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن جمعت أسماؤهن فى قول بعضهم:

توفى رسول الله عن تسع نسوة إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية   وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة   ثلاث وست نظمهن مهذب

هذا وأفضلهن خديجة وعائشة، وسيأتي ذكرهما بالتفصيل إن شاء الله تعالى....

زوجات النبى صلى الله عليه وسلم

١ - السيدة خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين رضى الله عنها

نسبها: كانت السيدة خديجة من أشرف نساء قريش نسباً، وأوفرهن مالا، وأرجحهن عقلاً وأجملهن خَلقا وخُلقا، جمعت في تلك النفس العالية كل مزية مشرفة، وخصلة باهرة، أبوها (خويلد) من أشراف قريش ورجالاتها البارزين أما أمها فهى (فاطمة) ويتصل حبل نسبها بالشجرة النبوية المباركة وبذلك أصبحت (أم المؤمنين السيدة خديجة) أقرب الزوجات الطاهرات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً.

أدركت أواخر عهد الجاهلية وكانت لها مكانة سامية بين قومها لجمال خلقها وخلقها وكانت تدعى فى الجاهلية (بالطاهرة) لطهارة سيرتها ونقاء سريرتها، وقد اشتهرت من بين نساء قومها بحصافة العقل، وجودة الرأى وطهارة القلب، فخطبها لأول مرة (عتيق بن عابد فتزوجته ثم مات عنها فتزوجت شريفا آخر هو (أبو هالة) وولدت منه ولدا اسمه (هند) إلا أنه لم يعش طويلا وترملت مرة ثانية.

ظلت السيدة خديجة فى نضارة الشباب تحف بها أسباب الرفاهة والعز تقطن منزلا فخما، وحولها العبيد والجوارى، فترفعها الانظار وترمق ما هى فيه من عز وفخار، ويتكاثر حولها طلاب يدها، أى زواجها من أعيان قريش ووجوهها فترفض كل طلب من غير أن تفضل أحداً على أحد.

زواجها من رسول الله: لقد منَّ الله عليها بزواجها من محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رأت أمانته، ورجحان عقله، وأصالة رأيه، وكرم خلقه، وذلك بحضور عمه أبى طالب وحمزة بمنزل عمرو بن أسد عم السيدة خديجة فى جمع عظيم من كرام قريش ونجباء عشرتهم حيث نهض عَمرو بن أسد فقال:

«اشهدوا على معاشر قريش أنى قد زوجت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد» فما أعظمها من كلمة جمعت بين القمرين النيرين، وقد بذل لها من الصداق ست أوراق من الذهب وقيل ٤٠٠ دينار، وبهذا أصبحت (خديجة الطاهرة) زوجة محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا صادق القوم على زواجه منها. وكان الرسول جالسا بجانبها أثناء العقد، فلما انتهت الصيغة طلبت إليه أن ينحر جزوراً من الابل التى أصدقها عمه أبو طالب مهراً، فنحر احداها فى الحال، وأطعم القوم، وأمرت خديجة نساءها بالرقص فرقصن وغنين (وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم).

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أفعم صدره سرورا حتى أن عمه أبا طالب عندما لاحظ حالته الروحية حمد الله كثيراً.

١- مثال الزوجة الصالحة

كانت خديجة فى بيتها مع زوجها الجليل فخر النساء والمثل الأعلى فى المودة والوداعة، وحسن المعاشرة والترفع عن الكلفة، وبذل المعونة، تقوم بواجباته قضاء لوازمه بجلال خاص بها.

وتجتهد فوق ذلك كله بكل ما آتاها الله من ذكاء وفطنة وبكل

ما جبلت عليه من شفقة ورحمة ورقة، أن تجعل أيام حياته تمر براحة وهناء وأنس ووفاء.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى نظرها شخصاً فذاً ممتازاً يستحق الحب الصادق والتقديس الواجب.

وكانت السيدة خديجة فى نظره الزوجة الطيبة الصالحة، وكانت أول من أسلم وآمن به. ولهذا مضت حياتهما المشتركة فى وئام وسلام، فقضيا خمسة وعشرين ربيعا لم يعكر صفوهما عتاب صغير أو غضب طفيف.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخصها باحترام كبير فلها فى نفسه أسنى منزلة، وفى قلبه أسمى مكان، لا يفتأ يعترف بفضلها، حتى انه لم يخطر على باله طول معاشرته لها أن يتزوج من غيرها مع أنها كانت أكبر منه سناً تزوجها وسنه ٢٥ سنة وقيل: ثلاثون سنة، وهى فى سن الأربعين وأقامت معه ٢٤ سنة. وقد رزقت منه صلى الله عليه وسلم ستة أولاد: ابنان، وهما القاسم وعبد الله وأربع بنات وهن: زينب ورقية وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء.

وفاتها - توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين فى شهر رمضان (بالحجون) وهو ابنة ستين سنة ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وحزن عليها حزناً شديداً وعظمت عليه مصيبتها.

٢- مثال من حبها للعمل والتجارة واستثمار المال

لما رأت عندها مالاً وافراً لم تتكل عليه، ولم تنفقه فى زُخرف الحياة الباطلة، بل فكرت فى أحسن الطرق لتثميره، فرأت أن

التجارة أشرف سبيل، ولا تكون رابحة إلا إذا قام بها الرجل الكفء النشيط الأمين، فكانت تختار من قومها من ترضى سيرته، فاختارت برايها الثاقب محمداً صلى الله عليه وسلم النبى الأمين، فأرسلته فى تجارة لها مع غلامها (ميسرة) إلى الشام، وكان عمره وقتئذ خمساً وعشرون سنة، وعرضت عليه أن تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، فسار بتجارتها ولّما رجع بالبضائع باعتها، فربحت ربحاً عظيماً، وأصابت بذلك خيراً عمياً، وأوصلها إلى السعادة الدائمة، وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة خديجة مع محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وسلم.

من هذا يفهم أنها رضى اللّه عنها كانت مفكرةً عاقلةً بعيدة النظر، سديدة الرأى، حسنة الاختيار، لانها اختارت الكفء الأمين للعمل فى مالها فاستفادت أحسن الفوائد.

٣ - مثال من شجاعتها وصدق إيمانها وعزيمتها

كان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء، وكانت زوجُه السيدة خديجة تعدُّ له ما يلزم من الزاد حتى إذا ما نفد أعدت له غيرة ولما نزل عليه الوحى بسفارة جبريل ورجع إليها ممتقع اللون قالت له: أبشر فواللّه لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتكسب المعدوم، وتؤدى الأمانة، وتقرى الضيف، وتعين علي نوائب الحق.

ثم ذهبت به إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأعلمته بشأنه وسألته خديجة بعد ذلك قائلة: يا ابن العم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك

هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم فجاءه جبريل فأعلمها، فقالت له: قم فاجلس على فخذى اليسرى ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحول على فخذى اليمنى ففعل، فقالت هل تراه؟ قال: نعم فألقت خديجة خمارها، ثم قالت: هل تراه؟ فقال: لا قالت: يا ابن العم اثبت وأبشر فإنه ملك وما هو بشيطان.

فكانت خديجة أول من آمن به وصدقه.

ولما علمه جبريل الوضوء والصلاة أتى إلى خديجة وعلمها فتوضأت كوضوئه وصلت كصلاته.

ولما سألت خديجة ابن عمها (ورقة بن نوفل) عن شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقص عليه الرسول الكريم قصته قال له: ان الذى نزل عليك هو الملك الذى كان ينزل على موسى وانك لنبى هذه الأمة فاطمأن بذلك فؤاده الشريف.

فمن هذه القصة يفهم أن السيدة خديجة كانت شجاعة قوية القلب صادقة العزيمة، إذ لو فوجئت بهذه الحادثة العجيبة امرأة غيرها لضاع فكرها وارتبك أمرها.

٤ - مثال المرأة الصبور المعينة لزوجها على تحمل الاذى

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات يدعو قومه سراً ثم أمر بالجهر بالدين فكان ذلك. وقد وجد عليه الصلاة والسلام من قومه فى أثناء هذه الدعوة ما لا يحتمله غيره سخراً وعناداً وهزؤاً. وابتعد عنه الاقرباء، وحرضوا عليه السفهاء فصبر علي أذاهم ودأب فى دعوته.

وكانت السيدة خديجة تسعى فى تخفيف آلامه وتساعده على دعوته وتتحمل الاذى من أجله صابرة لا تشكو ألماً ولا ضجراً، ولا

تؤثر الراحة على ما تلاقيه من أنواع الأذى.

فكانت السيدة خديجة بهذا العمل تضرب الأمثال للنساء لتعلمهن أن المرأة الصالحة الصابرة الشكورة أكبر مساعد لزوجها فى الملمات تفديه بمالها وبنفسها.

بعض الأحاديث الواردة بشأنها

١ - ذكر سلام الله تعالى على خديجة رضى الله عنها على لسان جبريل عليه السلام وسلامه

عن أبى هريرة قال: أتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد خديجة قد أتتك بإناء فيه ادام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى (أخرجه الشيخان).

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يا خديجة إن جبريل يُقرئك السلام.

وفى رواية أخرى: أن جبريل قال: يا محمد أقرىء خديجة من ربها السلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا خديجة هذا جبريل يُقرئك من ربك السلام قالت خديجة فى أحسن جواب وأكرم خطاب:

الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

٢ - ذكر تبشير النبى صلى الله عليه وسلم خديجة عليها السلام ببيت فى الجنة

عن أبى هريرة أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم: بشر

خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة وما تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ما ماتت، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

٣ - ذكر ثناء النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة رضى الله عنها

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى وأحسن الثناء عليها: فغرتُ يوماً وقلت: ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها فقال: ما أبدلنى الله خيراً منها، قد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى أولادها إذ حرمنى أولاد النساء.

وعنها أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر ذكر خديجة، فقلت: لقد أخلقك الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين - قالت: فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعراً ما كنت آراه منه إلا عند نزول الوحى، وإذ رأى المخيلة حتى يعلم أرحمة أم عذاب.

٤ - ذكر انها افضل نساء اهل الجنة رضى الله عنها

عن أبى عباس رضى الله عنه قال: خط رسول الله صلى الله

عليه وسلم أربعة خطوط وقال:

أتدرون ما هذا؟

قالوا: اللّه ورسوله أعلم. فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

«أفضل نساء اللّه فى الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون».

٢ - سودة بنت زمعة
زوجة النبى صلى الله عليه وسلم

تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة. وكانت قبله تحت ابن عمها (الكسران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو من بنى عامر أبن لؤى).

وكانت مسلمة توفى عنها فتزوجها رسول الله ولم تصب منه ولداً إلى أن مات صلى الله عليه وسلم.

٣ - السيدة عائشة رضى الله عنها
أم المؤمنين

نسبها: السيدة عائشة رضى الله عنها هى بنت (أبى بكر الصديق) رضى الله عنه ابن (أبى قحافة) من أعلام قريش عزاً وجاهاً وأحد الأربعة المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها (أم رومان) بنت (عامر ابن عويمر الكنانية) وكان مولدها سنة أربع من المبعث.

زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم: عقد عليها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام الثالث من انتقال زوجته السيدة خديجة إلى دار الخلد والبقاء، إلا أنه لم يدخل بها فى عامه، لان الزمان والمكان لم يسمحا بتلك السعادة وقتئذ وكان صداقها أربعمائة درهم.

وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين وقيل: سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع وقيل: عشر وكانت أحب نسائه إليه، وكنيتها (أم عبد الله) ابن أختها (أسماء بنت أبى بكر) وهى الزوجة الثالثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لانه تزوج قبلها (سودة بنت زمعة) تزوجها فى السنة العاشرة من النبوة.

وكانت متزوجة قبله ابن عمها ولما كبرت أراد طلاقها صلى الله عليه وسلم فسألته ألا يفعل، وجعلت يومها لعائشة، وعاشت إلى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه.

محبة الرسول لها: كانت أم المؤمنين (السيدة عائشة) أحب نساء الرسول إليه وكان يلقبها الرسول صلى الله عليه وسلم (بالحُميراء)

ويحبها محبة أكيدة، وكان من دواعى سروره صلى اللّه عليه وسلم أنه يرضيها ويعمل ما فيه سرورها وراحتها وهناءتها حتى توثقت محبته لها وازدادت مكانتها فى قلبه الطاهر.

فمن أمثلة محبته لها: أنه قال لها الرسول صلى اللّه عليه وسلم ذات يوم وهو جالس عندها ما معناه: «اننى أعلم وقت غضبك منى حيث تقولين اذ تحلفين: ورب إبراهيم أما إذا كنت راضية عنى فتحلفينَ برب محمد».

فأجابت: إننى، يا رسول الله اذا غضبت أغفلت اسمك، فأما حبى لك فلا يتغير.

كان النبى صلى الله عليه وسلم يقضى أكثر أوقاته بجانب زوجته المحبوبة عائشة.

وكان الناس أملا (فى الحصول على رضا الرسول صلى اللّه عليه وسلم) يتقدمون بهداياهم يوم عائشة.

وكان الوحى ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو بجانبها. فلذلك كانت السيدة عائشة تشاركه فى تأثراته النبوية، أذ كانت واقفة على دقائق أحواله وحركاته، وكل شأن من شئونه.

وقد شكا زوجات النبى صلى الله عليه وسلم من تحرى المسلمين يوم عائشة لهداياهم، فاجتمعن إلى (أم سلمة) التى تقدمت بذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ورجته أن يحذر الناس من ذلك. فقال لها: « لا تؤذينى فى عائشة، فانه واللّه ما نزل علىّ الوحىُ وأنا فى لحاف أمرأة منكن غيرها».

لم تيأس (أم سلمة) من هذا الإخطار النبوى؛ بل عادت إلى تحقيق أملها، وتوسلت هذه المرة (بفاطمة الزهراء) التى جاءت إلى أبيها تخبره بذلك.

إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سألها: هل تحبين من أحبه؟

فلما ردت عليه بالايجاب قال لها: إذن أحبى عائشة.

لقد كانت لعائشة رضى الله عنها منزلة سامية فى نفسه صلى الله عليه وسلم حتى كان يقول لزوجه الطاهرة: «ان حبه لها كالعروة الوثقى التى لا انفصام لها».

فكانت السيدة عائشة تسأله من حين لآخر اطمئناناً على مكانة هذه المحبة فتقول: كيف حال العروة يا رسول الله؟ فيجيبها: أنها على حالها لم تتغير ولم تتبدل.

غيرة نساء النبى منها: ونظرا لشدة حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة كانت نساؤه يغرن منها، فأرسلن السيدة فاطمة رضى الله عنها إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقلن لها: قولى له إن نساءك قد اجتمعن إلىَّ وهن يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة.

قالت عائشة رضى الله عنها: فدخلت فاطمة على أبيها وهو معى فى مِرط (كساء)، فقالت له: ان نساءك أرسلننى إليك، وقد اجتمعنَ وهن يَنشدنك العدل فى بنت أبى قحافة.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أتحبيننى؟ قالت: نعم قال فأحبيها.

فرجعت فاطمة إليهن وأخبرتهن بما قال لها. فقلن لها: أنك لم تصنعى شيئاً، فارجعى إليه، فقالت: لا والله لا أرجع إليه فيها أبداً، وكانت بنت أبيها حقاً (أخرجه أبو حاتم و النسائى).

غيرتها: عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً.

قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: ما لك يا عائشة أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانُك؟ فقلت: يا رسول الله ومعي شيطان؟

قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم «أخرجه مسلم».

وعن أم سلمة: أنها أتت بطعام فى صفحة لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فجاءت عائشة رضى الله عنها مستترة بكساء ومعها فهر فتلقت بد الصحفة فكسرتها. فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فلقتى الصحفة يقول: غارت أمكم، غارت أمكم.

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحفة عائشة رضى الله عنها فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة رضى الله عنها.

قالت رضى الله عنها: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وخرج معه نساؤه، قالت: وكان متاعى فيه خف، وكان علي جمل ناج (أى مسرع) وكان متاع (صفية بنت حيى) فيه ثقل، وكان على جمل ثقال بطيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حولوا متاع عائشة علي جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضى الركب.

قالت عائشة رضى الله عنها: فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم عبد الله ان متاعك كان فيه خف وكان متاع صفية فيه ثقل، فأبطأ بالركب

فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها، قالت: فقلت اليس تزعم أنك رسول الله قالت فتبسم وقال: أوفى شك أنت يا أم عبد الله قالت: فقلت أولست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت؟ فسمعنى أبو بكر وكان فيه غَرْب (أى حّدة) فأقبل عليّ ولطم وجهى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا أبا بكر. فقال: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الغيرة لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه، أى أن الذى دفعها إلى ذلك هو غيرتها، وأن المرأة إذا غارت لا تدرى ما تقول، بل تكيل القول جزافاً.

قناعتها وزهدها وإحسانها - قد أثرت تعاليم النبى صلى الله عليه سلم العالية فى نفسها الكريمة، ووجدت منبتاً صالحاً حتى تشرب قلبها النبيل مبادىء الزهد والقناعة فكان (عروة بن الزبير) يقول عنها: رأيتها تتصدق بسبعين ألف درهم فى سبيل الله وهى فى قميص خَلِق ترقع درعها (قميصها).

وبعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر كثير ثمين فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا كرم شديد ونفس سمحة، وسخاء وافر، وزهد فى الدنيا، وشدة إيمان بالآخرة.

وجاءها مال فى غرارتين (ثمانون ومائة وألف درهم) وهى يؤمئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فقالت يا جارية هلمى أفطرى، فجاءتها بخبز وزيت. فقالت لها أم درة: ما استطعت أن تشترى لنا بدرهم لحماً فنفطر عليه؟

قالت لا تعنفينى لو كنت ذكرتنى لفعلت.

فأى سيدة شريفة مثلها التى آثرت على نفسها، وعلى أى

شيء أنطرت؟ وكم مقدار تواضعها في خطابها لخادمتها؟

برّها بأهلها - قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: لما قتل أبي بمصرجاء عمي وحملنا إلى المدينة فأرسلت عمتي عائشة واحتملتنا من منزله فما رأيت والدة ولا والدا أبر منها، فلم نزل في حجرها (تحت رعايتها) إلى أن بعثت إلى عمي وتكلمت معه في أمرنا فما رأيت أبلغ منها.

وكان مما قالت: يا أخي أني لم أزل أراك معرضا عني منذ قبضت هؤلاء الصبية منك، والله ما قبضتهم تطاولا عليك، ولا تهمة لك فيهم، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئا فخشيت أن ترى نساؤك منهما ما تتقذرن به (تكرهنه) من قبيح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك، وأحق بالولاية.

أما الآن فقد كبرا وصارا يمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعديات غيرهما فاقبضهما إليك فانصرف عليها مثنيا، وعنها راضيا.

يستنبط من هذه القصة أنها كانت شفيقة، بَرَّة، بعيدة النظر، قوية الحجة، فصيحة اللسان.

برها بالغير - كانت تبذل ما لديها من مال ونسب في وجوه البر والخير بالغير، وقضاء حاجات أهل العوز والمساكين، وفي إعلاء كلمة الدين وعندما أسس سيدنا عمر بن الخطاب ديوان بيت المال في زمن خلافته وخصص مرتبات سنوية لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يعطى كلا منهن عشرة آلاف درهم إلا عائشة فقد جعل لها أثنى عشر ألفا، وذلك لانها كانت محبوبة للرسول صلى الله عليه وسلم. وبذا كان تصرفها في وجوه البر

والإحسان ببنى الإنسان.

صفاتها الشريفة وعلمها الغزير - للسيدة عائشة رضى الله عنها ميزة خاصة وشرف واحترام بين مخدرات العالم الإسلامى لم تتوافر لسواها من السيدات فقد كانت أديبة. لبيبة، عالمة، خطيبة، شاعرة من أفقه الناس، وأعلم الناس و أحسنهم رايا فى العامة، وعنها يقول عروة بن الزبير:

ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفقه ولا بشعر، ولا بحديث من عائشة رضى الله عنها ولها خطاب شهيرة وكان معاوية يقول: لم أسمع خطيبا أبلغ ولا أفصح من عائشة.

ياله من فخار تحوزه السيدة عائشة، تلك التى استطاعت فى فترة كبيرة من حياة الرسول الشريفة أن تدخل عليه السرور والراحة وتعمر قلبه بالغبطة والانس، فكانت أمام عينيه الشريفتين المثل الأعلى للسعادة وما كان ينقصها فى حياتها إلا أن تكون أما لكيلا تحرم من التكنى باسم طفلها. إلا أن سيد الكائنات لم يدع سبيلا إلى غمها من هذا القبيل فكناها بابن أختها (عبد الله بن الزبير) اذ كان قد درج فى البيت النبوى وشب بين أحضان الأسرة النبوية المطهرة.

وكانت من أحب خلق الله إليه هى وأبوها الصديق، كيف لا وقد أضاءت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمها وجمال نفسها حتى صارت الدرة اللامعة فى تاج تلك الأيام السعيدة المباركة.

وقيل: إنها روت ألفى حديث ومائة حديث وعشرة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان الرجال يقصدونها بعد وفاة النبى صلوات الله عليه ليسألوها فى العلم فتفتيهم فيه من وراء

حجاب لما اتصف به من كمال الفضل وتمام الأدب.

ورعها وخوفها من الله: عن عائشة رضى الله عنها قالت: جاء عمى من الرضاعة يستأذن عليّ فأبيت أن آذن له حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء الرسول قلت إن عمى من الرضاعة استأذن عليّ فأبيت أن أذن له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فليلج عليك عمك. فقلت: إنما أرضعتنى امرأة ولم يرضعنى الرجل: فقال: انه عمك فليلج عليك.

تعبدها: عن عروة ان عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم وعن القاسم: انها كانت تصوم الدهر، لا تفطر إلا يوم الأضحى أو يوم الفطر وعنه قال: كنت اذا غدوت أبدأ بيت عائشة رضى الله عنها فأسلم عليها فعدوت يوما فاذا هى قائمة تسبح وتقرا: (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم) وتدعو وتبكى وترددها، فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتى، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى وكانت تزور الكعبة فى كل عام، ثم تعود إلى المدينة فبهذه الزيارات التى دامت إلى السنة الرابعة والثلاثين من الهجرة أكسبتها عاطفة حب شديد واحترام فائق نحو شخصيتها المحبوب من أهل المدينة الذين كانوا يقدرون ذكاءها وحسن رأيها.

حياؤها: عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذى دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى رضى الله عنه واضعة ثوبى وأقول: إنما هو زوجى وأبى، فلما دفن عمر رضى الله عنه والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابى حياء من عمر رضى الله عنه.

عفتها وبراءتها مما نسب إليها: مما يؤسف له أنه حدث حادث مؤلم للسيدة عائشة غير قلب النبى صلى الله عليه وسلم وحول بعض حبه عنها فترة قصيرة من الزمن، وهذا الحادث هو حديث الإفك الوارد في سورة النور من القرآن الكريم، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم استصحب زوجته السيدة عاذشة فى إحدى الغزوات، وبينما هو قافل إذ انفرط عقدها فرجعت لتلتمسه، فظن سائس راحلتها أنها فى هودجها فاحتمل الهودج على الراحلة وسار مع الركب فلما رجعت لم تجد أحدا فمكثت مكانها فمر بها (صفوان ابن المعطل السلمى) فرآها فأركبها ناقته، وأوصلها إلى الجيش فاتهمها جماعة من المنافقين فى عفتها. فلما تحدث الناس بهذا الأمر وبلغ السيدة عائشة بكت حتى أصبحت لا يهدأ لها بال ولا تكتحل عينها بنوم.

فلما سمع أبوها أبو بكر بكاءها ونواحها طيب خاطرها وقال لها: صبرا يا بنية عسى الله ان ينزل فى شأنك آية.

وبينما أبوها عندها وهى تبكى إذ أستأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فلبثت تبكى معها، وبينما هم على تلك الحال اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس، ولم يجلس عندها من يوم الحادث.

وقد مكث شهرا لا يوحى إليه فى شأنها بشىء، فتشهد الرسول عليه الصلاة والسلام حين جلس ثم قال:

أما بعد، يا عائشة فانه قد يلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت برئية فسيبرئك الله، وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب اللّه عليه، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته استعصى دمعها

لاستعظام ما بغتها به من الكلام وقالت لابيها وأمها:

إنى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث الناس به حتى استقر بأنفسكم وصدقتم به، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه برئية لتصدقننى، فو الله ما أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ).

وبعد أن أتمت مقالتها تحولت واضطجعت على فراشها وهى تعلم أنها لبرئية وان الله مبرئها، وقد حدث ما كانت ترجوه، اذ نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم آيات فى براءة السيدة عائشة رضى الله عنها قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وما بعدها من الآيات.

وقد زال بعد نزول هذه الآيات ما كان بين الرسول وزوجة من الجفاء بسبب حادثة العقد، فعاش معها فى أمان وطمأنينة، وأنس عظيم، وراحة تامة.

شجاعتها: كانت على جانب عظيم من الشجاعة والإقدام، فقد حضرت واقعة الجمل بنفسها، وكانت تحض الرجال وتشجعهم على الحرب.

واقعة الجمل: روى أن عائشة رضى الله عنها خرجت من المدينة إلى مكة وسيدنا عثمان رضى الله عنه محصور، ثم رجعت مكة تريد المدينة فلقيها فى الطريق (عبيد بن أبى سلمة) أحد أولاد خالها فقالت له: ما وراءك؟ قال: قتل عثمان. قالت: فما صنع الناس بعده؟ قال اجتمعوا وبايعوا عليا. قالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردونى، فانصرفت إلى مكة وهى

تقول: قتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه.

فلما رجعت إلى مكة ذهبت تواً إلى الحجر الأسود، وجمعت الناس وخطبتهم خطبة بليغة مؤثرةً أفهمتهم فيها قتل عثمان ظلماً، وحثتهم على طلب دمه، فأثرت هذه الخطبة فى نفوس الكثيرين وتبعها عدد كبير من أهل البَصرة حتى بلغ عدد جيشها ثلاثين ألف مقاتل من بينهم (طلحة والزبير ابن العوام).

فلما بلغ ذلك أمير المومنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قام وخطب فى الناس وأعلمهم الحال وقال: إنها فتنة، ،سأمسك الأمر ما استمسك بيدى، وسار اليهم فى عشرة آلاف، والتقى الجمعان بظاهر البَصرة فى مكان يسمى (الخريبة) وجرت خطوب وحروب وانتهت بهزيمة جيش عائشة وقتل طلحة وابن العوام رضى الله عنهما.

وكانت السيدة عائشة على جمل فى هودج تراقب حركة القتال، وقد ترامى جندها على الموت وسميت هذه الواقعة (بواقعة الجمل).

وكان خاتمة القتال سقوط الجمل بما غشيه من النبال، وبقيت السيدة عائشة فى مخفرها حتى المساء وكان أخوها (محمد بن أبى بكر) من أصحاب علىّ كرم الله وجهه، وأمره إن يمضى إلى أخته وينظرها هل هى سليمة أم لا؟ ثم أدخلها ليلاً إلى البصرة فى دار (عبد الله بن خلف) وظلت هناك حتى أول شهر رجب بأمر الإمام علىّ وأحسن علىّ كرم الله وجهه وفادتها غاية الإحسان، وجهزها بكل ما ينبغى، وأذن لها بالرجوع واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البَصرة المعروفات لأجل مؤانستها فى الطريق، وسيرها صحبه أخيها محمد بن أبى بكر مكرمة، وقد

شيعها ولدا الإمام علي: الحسن والحسين رضى الله عنهما.

فلما كان يوم رحيلها حضر الإمام وحضر الناس فقالت عائشة رض الله عنها:

يا بني لا يعتب بعض على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه على معتبتي لمن الأخيار.

وقال علي كرم الله وجهه: والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة.

ثم سارت وتبعها الإمام أميالا، وتوجهت إلى مكة، وأقامت بها أيام الحج وانصرفت إلى المدينة.

وفاتها: انطوت صفحة حياتها الخالدة في العام الثامن والخمسين من الهجرة حيث نزل بها قضاء الله الذي لا مرد له وكانت وصيتها عندما وافاها القدر المحتم أن تدفن (بالبقيع).

توفيت عائشة رضى الله عنها إلى رحمة ربها في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان المكرم ودفنت في تلك الليلة (بالبقيع) كما أوصت، ومشى جميع أهل المدينة في جنازتها وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه.

أما الذين نزلوا قبرها فهم: عبد الله، وعروة - ولدا الزبير - والقاسم وعبد الله - ولدا محمد بن أبي بكر - وعبد الله بن عبد الرحمن.

ماتت السيدة عائشة، السيدة الفاضلة، رضى الله عنها عن خدمات جليلة، وحسنات شهيرة حببتها إلى الأمة الاسلامية فتركت من بعدها ذكرى خالدة، وسمعة طيبة.

فالسلام عليها يوم ماتت، ويوم تبعث حية.

وأرجو الله أن يوفق نساءنا المسلمات للعمل بسيرتها، واتباع سنتها.

٤- حفصة

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بعد أن انقضت عدتها من زوجها (حنبس بن حذافة).

قال عمر رضى الله عنه: ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

وقد كان عمر رضى الله عنه عرض حفصة ابنته على أبى بكر فلم يجبه بشىء وعرضها على عثمان فلم يجبه بشىء، فقال عمر: يا رسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فأعرض عنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك، وزوج ابنتك خيرا من عثمان، فتزوج عثمان أم كلثوم، وتزوج رسول الله حفصة وكان عمرها ٢٠ عاما.

وتزوج رسول الله حفصة سنة ٣٠ هـ بعد عائشة وطلقها تطليقة فبلغ ذلك عمر فحثى التراب. على رأسه وقال:

ما يعبأ بعمر وابنته، ثم ارتجعها رسول الله. توفيت سنة ٤١ هـ فى زمن معاوية.

٥ - زينب ابنة خزيمة (أم المساكين)
زوج النبى صلى الله عليه وسلم

هى زينب بنت خزيمة بن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبى صلى الله عليه وسلم.

يقال لها: أم المساكين، لكثرة إطعامها وصدقتها عليهم، وكانت تحت (عبد الله بن جحش) فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ثم خلف عليها أخوه عبيد بن الحارث.

كانت أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لأمها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حفصة، ولم تلبث عنده إلا يسيراً شهرين، أو ثلاثة حتى توفيت وكانت وفاتها فى حياته صلى الله عليه وسلم لا خلاف فيه، وقال ابن منده إن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«أسرعكن لحوقاً بى، أطولكن يداً».

فكان نساء النبى يتذار عن أيتهن أطول يداً.

فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً فى الخير، وهذا وهم، فإنه صلى الله عليه وسلم قال: أسرعكن لحوقا، وهذه سبقته إنما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته وقد ذكر فى زينب بنت جحش وهو لها أشبه لانها كانت كثيرة الصدقة، من عمل يدها. وهى أول نسائه توفيت بعده والله أعلم.

٦ - هند وهى ام سلمة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم

بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، المخزومية وأمها عائلة بنت عامر بن ربيعة.

كانت امرأة لابى سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد وهاجر بها إلى أرض الحبشة فولدت له هناك زينب، ثم ولدت سلمة، ودرة، وعمر.

قيل: إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة.

وقيل: إنه لما انقضت عدتها بعث أبو بكر إليها يخطبها فلم تتزوجه فبعث إليها النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يخطبها فقالت: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى امرأة غيرَى، وأنى امرأة مصبية وليس أحد من أوليائى شاهداً.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: ارجع إليها فقل لها: أما قولك إنى امرأة مصبية فستكفين صبيانك، أما قولك: ليس أحد من أوليائى شاهداً فليس أحد من أوليائك شاهدا أو غائباً يكره ذلك.

وقولك: إنى أمراة غيرى فسندعو الله يصرف عنك الغيرة.

فلما بلغها ذلك قالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه.

وحكي عنها أنها قالت: فى بيتى نزلت الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

وكانت من أجمل النساء، وشهدت (غزوة خيبر) وتوفيت بعد

قتل الحسين أى سنة ٦١ للهجرة وقيل: بل توفيت سنة ٥٩ هـ

سند الرأى الأول ما يروى من أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله إليه جبريل فقال لها:

إذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظته فى قارورة عندها، فلما قتل الحسين صار التراب دما، فأعلمت الناس بقتله.

وقد روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ٣٢٨ حديثاً وعاشت ٨٤ سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع من أرض الحجاز.

٧- زينب بنت جحش
زوج النبى صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين

زينب بنت جحش بن رئاب، تكنى أم الحكيم، وأمها (أميمة) بنت عبد المطلب، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قديمة الاسلام، ومن المهاجرات مع الرسول، وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على (زيد بن حارثة) فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسى وأنا أيم قريش.

قال: فانى قد رضيته لك، فتزوجها ابن حارثة ولم يلبث معها قليلاً حتى طلقها لكبريائها وعظمتها.

عن أنس رضى الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك واتق الله) فنزلت الآية:

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ).

زواجها بالنبى – لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب واذكرنى لها، قال فلما قال ذلك عظمت فى نفسى، فذهبت إليها، وجعلت ظهرى إلى الباب، وقلت. يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك. فقال: ما كنت لاحدث شيئاً حتى أؤامر ربى عز وجل. فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله عز وجل:

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا) الآية.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن

وكان عمرها حين تزوجها ٣٥ سنة وروى: أنه لما دخل بها سنة ٥ للهجرة قال لها: ما اسمك؟ قالت: برة: فسماها رسول الله (زينب) وقال: لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم والفاجر.

وروى: أنه لما تزوجها تكلم فى ذلك المنافقون فقالوا: حرمٌ محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه. فأنزل الله عز وجل:

(مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِنْ رِجَالِكُمْ) الآية سورة الأحزاب.

وقال تعالى: (ادْعُوهُم لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله فَإِنْ لَمْ تَعْلَمواْ آبَاءهُمْ فَإِخْوَانكُمْ فِيَ الدين وَمَوَالِيكُمْ).

فمن ثم دُعى (زيد بن حارثة) وكان يدعى (زيد بن محمد) لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلا.

فخرها على أزواج النبى - عن أنس رضى الله عنه قال لما نزلت الآية.

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) كانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول: زوجكن آباؤكن، وزوجنى الله من فوق سبع سموات، وأولم عليها بخبز ولحم.

وعن أنس قال: ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب.

فقال له ثابت: ما أولم؟ قال: اطعمهم خبزاً ولحماً .

مناقبها - كانت زينب بنت جحش قصيرة جميلة، صنّاعة اليد، تدبغ وتخرز، صوّامة قوامة تشتغل وتتصدق من شغل يدها فى سبيل الله: قالت عائشة رضى الله عنها. قال رسول الله صلى الله عليه سلم. «أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يدا». قالت: فكن

يتطاولن أيتهن أطول يدا: قالت: وكان أطولنا يداً زينب لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

وعنها رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لازواجه. (أولكن تتبعنى أطولكن يدا). قالت عائشة رضى الله عنها: فكنا اذا اجتمعنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا فى الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش رضى الله عنها، فكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد بطول اليد الصدقة، وكانت امرأة صناعا، وكانت تعمل بيدها وتتصدق فى سبيل الله.

وفاتها - توفيت سنة ٢٠ للهجرة فى خلافة عمر، وفى هذا العام فتحت مصر، وقيل: توفيت سنة إحدى وعشرين وفيها فتحت الإسكندرية وماتت رضى الله عنها وعمرها ثلاث وخمسون سنة. ولما توفيت قالت عائشة: يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت فى الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف، إن الله عز وجل زوجها بنبيه، ونطق به القرآن، وأن الرسول قال لنا ونحن حوله «أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا» فبشرها بسرعة لحوقها به وهى زوجته فى الجنة، وذلك لانها أول من توفيت من نسائه بعده، وقال لعمر بن الخطاب: ان زينب أوَّاهة خاشعة متصدقة.

عمات الرسول صلى الله عليه وسلم

عمات الرسول صلى الله عليه وسلم ستة:
صفية وإسلامها معروف ومحقق، وهى أم الزبير بن العوام.
أروى وعاتكة، وفى إسلامها خلاف
أم حكيم وبرة وأميمة، ولا خلاف فى عدم إسلامهن
وكلهن شقيقات عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم إلا صفية.
ولنذكر أروى. وأم حكيم فيما يلى.

أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكرها أبو جعفر فى الصحابة وذكر أيضا أختها (عاتكة ابنة عبد المطلب) قال محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى: لما أسلم (طليب بن عمير) دخل على أمة أروى بنت عبد المطلب فقال لها: قد أسلمتُ وتبعت محمدا أو تتبعينه؟ فقد أسلم أخوك حمزة. قالت: انظر ما تصنع أخواتى، ثم أكون مثلهن.

قال: فقلت: إنى أسالك بالله إلا أتيته وسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم كانت بعد تعُضد النبى صلى الله عليه وسلم وتعينه بلسانها، وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره، وكانت من

الشاعرات الأديبات والمتكلمات فى العرب ومن قولها ترثى والدها عبد المطلب مع باقى أخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قوتهن فى الرثاء.

بكت عينى وحق لها البكاء على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليفة أبطحى كريم الخيم شيمته العلاء
على الفياض شيبة ذى المعالى بيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمى أغرّ كأن غرته ضياء
أبى الضيم أبلج هبر زى قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر وفيصلها إذا التبس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا وبأسا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذى رأى مصيب عليه حين تبصره البهاء

وقد أسنت وماتت فى خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بما يليق بها من الإكرام.

أم حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية
الملقبة بالبيضاء

كانت من النساء الحكيمات العاقلات فى بنى هاشم جمعت مع الحكيمة وفرة الأدب ومع البلاغة فصاحة العرب، كانت مع أخواتها رثت أباها فى حياته كطلبه بهذه الأبيات:

الا يا عين جودى واستهلّى ... وبكّى ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك أسعدينى ... بدمعك فى دموع هاطلات
وبكّى خير مَن ركب المطايا ... أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعالى ... كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هبرزيًّا ... وغيثا فى السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالى ... تروق له عيون الناظرات
عقيل بنى كنانة والمرجى ... إذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومفزعها إذا ما هاج هيج ... بداهية خصيم المعضلات
فبكيه ولا تسمى بحزن ... وبكّى ما بكيت الباكيات

بنات النبى صلى الله عليه وسلم

١ - السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هى أكبر أولاده، ولدت وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة وأمها (خديجة بنت خويلد أسد) وكان أبوها يحبها وتزوجت ابن خالتها أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قص قبل النبوة. وكانت تحب زوجها، وأسلمت وهاجرت مع أبيها وأبى أبو العاص أن يسلم، ففرق الإسلام بينهما، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقدر أن يفرق بينهما بمكة لعدم قوة الإسلام بها وقتئذ ولم يفرق بينهما من أول البعثة لان تحريم زواج المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة.

ولما أسر أبو العاص فى وقعة بدر وكان من الكفار أرسلت زينب فى فداء الربيع بمال دفعته إليه، من ذلك قلادة لها كانت أمها خديجة قد أدخلتها بها على أبى العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا»

فقالوا: نعم.

وكان أبو العاص مصاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مصافيا وكان أبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها، فشكر له صنيعه.

ولما أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسر شرط عليه أن يرسل زينب إلى المدينة. فعاد إلى مكة وأرسلها إلى

المدينة، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثنى فصدقنى، ووعدنى فوفى.

ولم تزل زينب بالمدينة، وأبو العاص بمكة، على شركه، فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة إلى الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم، فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم (زيد بن حارثة) فأخذ المسلمون ما فى تلك العير من الأموال، وأسروا أناساً، فهرب أبو العاص بن الربيع، ثم أتى المدينة ليلا فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته.

فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صاحت زينب: أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال: هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: والذى نفسى بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم. وقال يجير على المسلمين أدناهم. ثم دخل على ابنته فقال: أكرمى مثواه، ولا يخلص اليك فإنك لا تحلين له. قالت: إنه قد جاء فى طلب ماله، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية، وقال: ان هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم به، وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذى له، فإن أبيتم فأنتم أحق.

فقالوا: بل نرده عليه، فردوا عليه ماله أجمع، فعاد إلى مكة، وأدى إلى الناس أموالهم، ثم أسلم وحسن إسلامه، ثم قدم إلى المدينة.

ولما أسلم أبو العاص رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب بمهر جديد، وولدت (عليا وأمامة) التى تزوجها على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحب (أمامة)، وهى التى كان يحملها فى الصلاة على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رأسه من السجود أعادها.

وقد توفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة للهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها، وهو مهموم محزون، فلما خرج سرى عنه، وقد توفى بعدها زوجها.

وقيل: انها لما ماتت زينب قال النبى صلى الله عليه وسلم اغسليها وترا ثلاثا أو خمسا، واجعلى فى الخامس كافوراً أو شيئاً من الكافور.

٢ - السيدة رقية
ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولدت رقية ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها (عتبة بن أبى لهب)، وتزوج أختها أم كلثوم (عتبة أخوه).

فلما نزلت آية (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ)، قال أبو لهب لهما: رأسى من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتى محمد، ففارقاهما، ولم يكونا دخلا بهما.

وتزوج رقية عثمانُ بن عفان رضى الله عنه بمكة وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

وكانت ذات جمال بارع، وكان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها، ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك، فدعت عليهم، فهلكوا جميعا وولدت، لعثمان بالحبشة ولدا سماه (عبد الله) وكان يكنى به، وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات.

وتوفيت رقية بالمدينة، وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى وقعة بدر، وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها، فجاء زيد بن حارثة بشيرا بفتح بدر، وعثمان قائم على قبرها.

وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرون يوما من الهجرة.

ولما عزى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«الحمد لله دفن البنات من المكرمات».

٣ - السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها)
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيدة النساء

نسبها - السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها من أشرف نساء قريش نسبا، وأطهرهن حسبا، وأنقاهن سيرة، وأشدهن غيرة على الاسلام.

مولدها - ولدت فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم من أمنا السيدة خديجة الكبرى رضى الله عنها قبل ما تبنى الكعبة بخمس سنين، والنبى صلوات الله عليه ابن خمس وثلاثون سنة، أى قبل هجرته المباركة بسبعة عشر عاما، وكانت أصغر بناته وأحبهن إليه.

كانت سيدة النساء فاطمة مباركة ذات خَلق حسن وخُلق أحسن، تربت تربية عالية فى دار النبوة، فنشأت نشأة صالحة، وأنبتها الله نباتا حسنا، (أصلها ثابت وفرعها فى السماء) فكانت خير النساء وسميت فاطمة لأن الله فطمها وحفظها من النار.

زواجها - تزوجت السيدة فاطمة الزهراء من الإمام على (ابن عم النبى) كرم الله وجه فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة، وبنى بها فى ذى الحجة السنة المذكورة.

ولقد كانت سيدة النساء وقتئذ فى أزهى أوقات الحياة فى التاسعة عشرة من عمرها أما الإمام على فقد كان يبلغ الحادية والعشرين، كلاهما شخصيتان بارزتان، يحيط بهما جلال الإيمان

ونور الهدى، متكافئتان متعادلان من كل الوجوه، مناسب أحدهما للآخر كل المناسبة، كلاهما عالى الفكر، رقيق الحسِّ، حميد الـخُلق، صبيح الوجه، فكلاهما زوجان متصفان بالمعالى، مشهوران بالمحامد، فهما خيار من خيار.

بدأت حياتهما المشتركة التى امتزجت فيها الفضيلة بالكمال، والجلال بالجمال على هذا الوجه والوفاء والاخلاص.

حضرا الإمام على ذات يوم من أيام السنة الثانية للهجرة إلى دار النبوة بنفسه وبعد أن دخل الدار سلم على الرسول صلى الله عليه وسلّم وسكت، فسأله الرسول ماذا يطلب؟ فرد عليه مجيبا بأنه حضر ليطلب كريمته السيدة فاطمة. فقال له الرسول: مرحبا وأهلا، ولم يزد على ذلك بل ظل ساكتا بعدها، مما اضطر علياً إلى العودة حائرا مدهوشا.

لم يستطع الإمام على أن يميز وجه الحقيقة من رد الرسول. فسأل بعضا من الانصار فبشروه وطيبوا خاطره، وأفهموه بأن فى هذا الرد ما يشعر بالقبول والإيجاب، نفرح الامام واغتبط بذلك، وبعد قيام الإمام علىّ طلب الرسول صلوات الله عليه كريمته السيدة فاطمة وأخبرها بهذا الأمر، وسألها رأيها فيه، فلم تجبه، بل أطرقت ساكتةً، فعد الرسول سكوتها علامة الإيجاب والرضى.

فقرر إتمام عقد الزواج، ثم أرسل يطلب علياً كرم الله وجهه وسأله هل عنده من شىء؟ فأجابه: أنه لا يملك سوى فرسه ودرعه، فأمره ببيع الدرع لتجهيز السيدة فاطمة بثمنها.

هرع علىّ إلى السوق فباع الدرع إلى عثمان بن عفان بأربعمائة وسبعين درهما، وعاد بالثمن معقودا فى طرف ثوبه ووضعه أمام الرسول وهو يقول: ها هو بدل الدرع يا رسول الله

فقبض الرسول بعض الدراهم منها وناولها بلالا ليشترى بعض الطيب والروائح ويسلم الباقى إلى (أم سلمة) لتشترى الجهاز.

وبعد أن أحضرت أم سلمة الجهاز دعا الرسول صلى الله عليه وسلم جمعا غفيرا من الأنصار ثم خطبهم خطبة بليغة وهى:

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المهروب إليه من عذابه، النافذ أمره فى أرضه وسمائه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه. وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجلّ جعل المصاهرة نسبا لاحقا، وأمرا مفترضا، وحكما عادلا، وخيرا جامعا، وشج به الأرحام والزمها الأنام. فقال عز وجل: «وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا» وأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب. يمحو الله ما يشاء، ويثبت وعنده أم الكتاب ثم إن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من علىّ وأشهدكم أنى زوجت فاطمة من علىّ، على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة، والفريضة الواجبة.

ثم دعا لهما عقب ذلك بحسن المعاشرة، وبالذرية الصالحة، وعندما تم عقد الزواج على هذا الوجه البسيط أحضر الرسول للحاضرين من الانصار وعاء فيه بعض التمر وقدمه اليهم بقوله: تخاطفوا.

هكذا تم زفاف سيدة النساء، وابنة فخر الكائنات بلا ضجيج ولا ضوضاء، ولكنه بالسرور الذى ملأ القلوب بالهناء والصفا.

وبعد أن تفرق المدعوون طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة وأمرها بأن تذهب بكريمته إلى دار على، وأن تخبرهما أنه

آت اليهما عن قريب فنفذت أمره وسارت بسيدة النساء إلى دار زوجها، أما الرسول فقد صلى صلاة العشاء، ويمم عقب الصلاة دار علي وفي يده قربة من الجلد تستعمل لسقى الماء، وعند وصوله دار صهره قرأ عليهما سورتى المعوذتين، وبعضا من الادعية. وأمرهما بأن يشربا ويتوضأ من الإناء، ثم أخذ قليلا منه ونشره على رأسيهما، وعندما أراد مفارقتهما وقد هَمَّ بالانصراف كانت فاطمة رضى الله عنها تبكى فخاطبها بما معناه:

«أى بنتي قد تركتك وديعة عند رجل إيمانه أقوي من إيمان أى إنسان آخر، وعلمه أكثر من علم الجميع، أنه أفضل قومنا أخلاقا، وأعلاهم نفسا».

على هذا الوجه تم عقد الشركة القلبية بين سيدة النساء فاطمة الزهراء والإمام على كرم الله وجهه.

أحب الإمام على زوجته سيدة النساء، وعاشا عيشة راضية ورزقت منه خمسة أولاد ثلاثة ذكور، وهم الحسن والحسين ومُحسن، وبنتان: أم كلثوم وزينب، وقد مات محسن صغيرا.

مناقبها - كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها ذات عقل ودراية، عالية النفس تجيد الشعر وتعرف مسائل الفقه والشريع، ولها إلمام بالتاريخ ولم يأخذها الغرور يوما لعلو منزلتها فى الإسلام.

وكانت سلسة القياد، حلوة اللسان، تحب معونة الفقراء كزوجها علي. روى عنها أحاديث نبوية كثيرة، ونظمت قصائد ذات أبيات عامرة. وأظهرت دراية ومهارة فى كثير من المعضلات.

كانت السيدة فاطمة تشابه أباها فى كلامها، وتحاكيه صلى الله عليه وسلم فى مشيها محاكاة تامة تثير دهشة الناس.

أما محبتها لوالدها فخر الكائنات فكانت محبة خارقة للعادة من أعماق القلب والروح.

وكانت محبوبة من أهلها يحبها الجميع وقد تركت ذكريات حسنة فى قلب كل إنسان عرفها أثناء العشر السنوات التى مضت من يوم زواجها حتى ساعة وفاتها.

وكان الإمام على ينفذ لها كل طلب ويعمل بكل كلمة تقولها. وكان أولادها يطيعونها ويحترمونها فى كل حين.

وكانت تحب أولادها وتعتنى بشأنهم، وكانت فى صلاتها وعبادتها ومبراتها وخيراتها من أكثر السيدات أنسا فى محفل ربات الخدور.

وقد قضت حياتها السعيدة حتى السنة الحادية عشر من الهجرة النبوية المباركة وهى تجبر القلوب الكسيرة، وتعين المحتاجين، وتغيث الملهوفين.

وقد ظلت هذه الحياة السعيدة على هذه الوتيرة حتى السنة المذكورة التى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، إلى الرفيق الأعلى، فتناثرت أوراق تلك السعادة، وأظلم قلبها، وهكذا الدهر اذا صفا يوما ففى غد يتقلب.

***

أقبلت ذات مرة تزور الرسول صلوات الله عليه وكانت معه السيدة عائشة فقال: مرحبا يا بنتى، ثم أجلسها عن يمينه وأسرَّ لها حديثا فبكت، ثم أسرَّ لها حديثا آخر فضحكت، فقالت السيدة عائشة: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن: فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرَّه، فما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها فأخبرتها أنه قال:

إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك. فبكيت. فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحكت لذلك. ولم تضحك فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها قط، ولقد حزنت الزهراء حزنا شديدا لوفاته صلى الله عليه وسلم إلى أن توفاها الله فلم تظهر عليها أمارة من السرور طول تلك المدة. ولما زارت قبر أبيها عليه الصلاة والسلام بعد وفاته بأيام أخذت بيدها قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها وأخذت تبكي وتقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... ألا يشم مدى الزمان غواليا
صُبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

وقد رثته بهذه المرثية:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

فلم يسمعها إنسان حتى بكى معها، وبعد أن فاضت دموع العين بما في القلب من نيران الحزن عادت إلى منزلها واجمة مطرقة حزينة.

روى: أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت لها: امضى إلى السوق بها، وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قبلها فأتيني به، فمضت الجارية إلى السوق وقالت: من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال رجل مغربى: أنا موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطته الصدقة وقالت له: أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: نعم فلما بلغ الباب سألته من أنت؟ فقال لها أنا رجل مغربى.

فقالت له: من أى المغرب؟ فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت: قال لى والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبى حوارى، وحوارى ذريتى البربر، سيقتل الحسن، والحسين، ويفر أولادهما إلى المغرب فلا يأويهما إلا البربر فياشؤم من فعل بهم ذلك، وطوبى لمن أكرمهم وأعزّهم».

***

وفاتها - توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة، وهى بنت ثمان وعشرون سنة، ودفنت بالبقيع ليلاً، وصلى عليها علىّ عليه السلام.

وقيل : صلى عليها ونزل فى قبرها هو والفضل بن العباس، وقيل: لبثت فاطمة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر، وقال عروة ابن الزبير وعائشة: لبثت ستة أشهر، وهو الصحيح.

وروى : أن علياً عليه السلام زوجها لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ومن دفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديدا ثم أخذ يقول:

أرى علل الدنيا على كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليـــل
لكل اجتماع من خليلين فرق
وكل الذى دون الفراق قليـــل

وإن افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليـل

٤ - أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم

أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تزوجها عتيبة بن أبى لهب، ثم فارقها قبل الدخول بها.

فلما ماتت أختها رقية تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه بوحى من الله وأمر منه تعالى.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لقى النبى صلى الله عليه وسلم عثمان عند باب المسجد فقال: «يا عثمان هذا جبريل؟ أخبرنى أن الله تعالى قد أمرنى أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»: (أخرجه ابن ماجه).

وأم كلثوم عرفت بكنيتها ولم يعرف لها اسم، ولم تلد رضى الله عنها واختلف فى أيهما أكبر هى أم رقية؟ وهى أكبر سناً من فاطمة.

ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها صلى الله عليه وسلم، ونزل فى حفرتها: على، والفضل، وأسامة بن زيد، وأبو طلحة الأنصارى.

ذكر سير أهل البيت المدفونات بالقاهرة

١ - السيدة زينب بنت الإمام على كرم الله وجهه

نسبها - السيدة زينب هى بنت الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها سيدة نساء العالمين (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مولدها - ولدت رضى الله عنها فى شعبان فى السنة الخامسة للهجرة الموافقة لسنة ٦٢٦م وعاشت مع جدها النبى صلى الله عليه وسلم خمس سنوات وهى شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام.

زواجها - تزوجت من ابن عمها (عبد الله بن جعفر الطيار) ذى الهجرتين، وذى الجناحين. وكنيته أبو عبد الله، وأبو المساكين الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشبهت خَلقى وخُلقى.

وكان آية فى الحلم والجود والكرم، توفى سنة ٨٠ من الهجرة بالمدينة وكان أميرها إذ ذاك (أبان بن عثمان لعبد الملك بن مروان) فحضر غسله وكفنه، وما فارقه حتى دفنه بالبقيع، وإن

دموعه لتسيل على خديه وهو يقول: كنت والله خيرا لا شرٌّ فيك وكنت والله شريفا واصلا براً.

أولادها - رزقت منه عليا وعونا، ويدعى بالأكبر، وعباسا ومحمدا وأم كلثوم.

مناقبها وأخبارها - كانت السيدة زينب رضى الله عنها أمرأة عاقلة لبيبة فصيحة. وكانت مع أخيها الحسين رضى الله عنه حين قتل بكربلاء، قيل: أنها لما قتل أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنت آخرُ الأمم ؟
بعترتى وبأهلى بعد فُرقتكم منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وقيل: إن هذه الأبيات لزينب ابنة عقيل بن ابى طالب كما جاء فى كتاب (ابن الأثير) وهو الصحيح.

ولما دخلت الكوفة بعد مقتل الحسين، وجاءت نساءها يومئذ قياما يندبن ويلطمن متهتكات الجيوب، وسمعت على بن الحسين يقول: يا أهل الكوفة أنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم؟ فأومأت زينب إلى الناس أن اسكتوا، فسكتت الأنفاس، وهدأت الأجراس، وقامت خطيبة فيهم وقالت: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

أما بعد، يا أهل الكوفة، أتبكون ؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنة، أنما مثلكم مثل التى نقضت غزلها من بعد قوة، أنكاثا تتخذون إيمانكم دخلا بينكم، ألا ساء ما تزرون، أى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن

ترحضوها بغسل أبدا، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة، ومعدن الرسالة ومدار حجتكم، ومنا محبتكم وهو سيد شباب أهل الجنة؟ ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم، أن سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون، أتدرون أى كبد فريتم، وأى دم له سفكتم؟ وأى كريمة له أبرزتم؟ لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. يا أهل الكوفة لعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون، كلا إن ربى وربكم بالمرصاد.

فما أتمت حديثها حتى صرخ الناس بالبكاء وذهلوا وسقط فى أيديهم من هول تلك المحنة الدهماء ثم أمر الطاغية (ابن زياد) قائد حزب الشيطان، بتجهيز الأسارى وترحيلهم إلى الشام مقر أميره، فجهزوا ولما بلغوا الشام أخرجت النساء وأدخلن دار (يزيد) وكانت معهن ابنة للإمام الحسين تدعى (فاطمة) ولما دخلت السيدة زينب دمشق خيرها (اليزيد) بين الإقامة بدمشق على الرحب والسعة، وبين التوجه إلى حيث تشاء من البلاد فاختارت الرجوع إلى المدينة المنورة، فجهزها ومن معها إلى المدينة، ثم إن والى المدينة من قبل يزيد وهو (عمرو بن سعيد الأشدق) اشتكى من إقامة السيدة زينب بالمدينة، فكتب بذلك إلى (يزيد) وأعلمه بأن وجودها بين أهل المدينة مبهج للخواطر والقلوب لما حصل لآل البيت وأنها فصيحة عاقلة لبيبة وقد عزمت هى ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين.

فلما وصل الكتاب إلى (يزيد) وعلم بذلك أمر بتفريقهم فى الأقطار والأمصار فاختارت السيدة زنيب الإقامة بمصر طلبا لراحتها، واختار بعض أهل البيت بلاد الشام.

قدومها مصر ووفاتها بها

فعند ذلك جهزهم (ابن الأشدق) فخرجت السيدة زينب هى ومن معها من أهل البيت وفيهم (سكينة بنت الحسين وأختها فاطمة) فما اتصل خبر ذلك إلى والى مصر، إذ ذاك وهو (مسلمة بن مخلد الأنصارى) توجه هو وجماعة من أصحابه، وفى صحبتهم جملة من أعيان مصر ووجهائها وعلمائها إلى لقائها، فتلقوها فى قرية بين طريق مصر والشام شرقى بلبيس (عرفت أخيرا بقرية العباسة نسبة للعباسة بنت أحمد بن طولون) ولم يبق بالمدينة من جماعتهم إلا زين العابدين.

ووافق دخول السيدة زينب إلى مصر (أول شعبان سنة ٦١ من الهجرة) وكان قد مضى على الموقعة نحو ستة أشهر وأياما، فأنزلها (مسلمة بن مخلد) هى ومن معها فى داره (بالحمراء القصوى) ترويحا للنفس إذ كانت تشكو المرض، فأقامت بها ١١ شهرا ونحو ١٥ يوما من شعبان سنة ١٦١ إلى رجب سنة ٦٢ هجرية.

وفاتها - ولما ثقل عليها المرض توفيت رضى الله عنها يوم الأحد ليلة الاثنين لأربعة عشر يوما مضت من شهر رجب من السنة المذكورة. وبعد تجهيزها وشهود جنازتها دفنت بمحل سكناها على العادة فى ذلك. أسكنها الله فسيح جناته (فجثمانها الشريف بمصر كما أثبته العبيدلى النسابة أمير المدينة فى رسالته) فى المكان الموجودة فيه الآن.

ثم بعد وفاتها رجع من كان معها من أقاربها إلى المدينة، وفيهم السيدة سكينة وفاطمة، ثم بعد مرور عام على وفاتها، وفى اليوم نفسه الذى توفيت فيه اجتمع أهل مصر قاطبة وفيهم الفقهاء

والقراء وغير ذلك وأقاموا لها موسما عظيما برسم الذكرى على ما جرت به العادة، ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم الى وقتنا هذا من يوم وفاتها للآن. وهذا الموسم هو المعبر عنه (بالمولد الزينبى) الذى يبتدئ من أول رجب من كل سنة، وينتهى ليلة النصف منه وهى ليلة الختام.

السيدة زينب المثل الأعلى للحق والعدل

للسيدة زينب رضى الله عنها مواقف مشهورة بين أمراء الظلم، تدل على ميلها وحبها للحق والعدل، بينما كانت مواقف الظلمة أمثولة تدل على العسف والجور.

فكانت تجاوب القوم بكل ثبات وشجاعة وإقدام، الأمر الذى لم يقم به أحد من البشر خصوصا من النساء.

وذلك أنه لما أحيط بها (بعد مقتل أخيها الحسين رضى الله عنهما) وهى فى هذا الموقف الرهيب ناداها منادى الحق، فهتفت باسمه، وأجابت نداءه وقالت تخاطب (يزيد):

صدق الله يا يزيد، «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السؤى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يَستهزئون» أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وأن بك عليه كرامة».

وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك، فشمخت بأنفك، ونظرت فى عطفيك جذلان فرحا، حين رأيت الدنيا مستوثقة لك، والأمور متسقة عليك. إن الله إن أمهلك فهو قوله: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ

لِيَزْدادَوا إثمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك بناتك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأسارى؟ قد هتكت ستورهن، وأصلحت أصواتهن مكتئبات تجرى بهن الأباعر وتحدو بهن الأعادى من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن قريب من رجالهن.

وكيف يستبطأ فى بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنان والإحن والأضغان؟ إلى أن قالت:

" أيزيد، والله ما فريت إلا فى جلدك ولا حززت إلا فى لحمك، سترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك، ولتجدن عترته ولحمته من حوله فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث.

(وَلا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا فِى سَبِيلِ الله أمْوَاتا بَلَ أحْياَء عِنْدَ ربِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

وستعلم أنت ومن بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكَمُ ربنا والخصم جدنا وجوارحك شاهدة عليك (فبئس للظالمين بدلا).

هنالك تعلم (أينا شر مكانا وأضعف جندا) مع أنى والله أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى، والصدور حرى وما يجزى ذلك أو يغنى، وقد قتل أخى الحسين. إلا إن حزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله عونا على أنتهاك محارم الله فهذه الأيدى تنطف (تقطر) من دمائنا وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الزواكى يعتامها عسلان الفلوات، فلئن اتخذتنا فى هذه الحياة مغنما،

لتجدننا عليك مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك.

تستصرخ يا ابن مرجانة ويستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان. وقد وجدت أفضل زاد تزودت به قتل ذرية محمد صلى الله عليه وسلم. فوالله ما اتقيت غير الله، وماشكوت إلا الله فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا يرحض (لا يسغل) عنك عار ما أتيت إلينا أبدا.

فما أبلغ هذا الكلام؟ وما أحسن تأثيره فى نفسو الكرام؟ وما أشدو وقعه فى قلوب الكفرة اللئام الذين قتلوا الحسين رضى الله عنه ظلما وعدوانا جزاهم الله بما يستحقون، وجزى السيدة زينب خير الجزاء وأسكنها دار الخلد. والبقاء.

٣ - السيدة أم كلثوم رضى الله عنه

نسبها - هى ابنة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وأمها السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مولدها - ولدت قبل وفاة النبى.

زواجها بعمر - خطبها عمر بن الخطاب إلى أبيها علىّ، فقال: إنها صغيرة. فقال عمر: زوجنيها يا أبا الحسن. فإنى أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد. فقال له على: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها، فبعثها إليه ببرد وقال لها: قولى له هذا البرد الذى قلت لك عليه.

فقالت ذلك لعمر، فقال لها: قولى له، قد رضيت، رضى الله عنك، ووضع يده عليها، فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم جاءت أباها فأخبرته، وقالت له، بعثتنى إلى شيخ سوء، قال: يا بنية أنه زوجك.

فجاء عمر، فجلس إلى المهاجرين فى الروضة (وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون) فقال: رفئونى (هنئونى بالرفاء) فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت على، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى وصهرى» وكان لى به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب فأردت أن أجمع إليه الصهر فرفؤوه، فتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية.

زواجها بعون بن جعفر - قيل إنه لما قتل عنها عمر تزوجها (عون بن جعفر) وذلك أنه دخل عليها الحسن والحسين أخواها

فقال لها: إنك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين، وبنت سيدتهن وإنك والله إن أمكنت علياً من رمتك لينكحنك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبى بنفسك مالا عظيما لا تصيبينه، فوالله ما لبثنا حتى طلع عليّ يتكئ على عصا فجلس وحمد الله وأثنى عليه، وذكر منزلتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

قد عرفتم منزلتكم عندى يا بنى فاطمة، وآثرتكم على سائر ولدى لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتكم منه، قالوا: صدقت رحمك الله، فجزاك الله عنا خيراً.

فقال: أى بنية، إن الله عز وجل أمرك بيدك وأنا أحب أن تجعليه بيدى. فقالت: أى أبت إنى امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر فى أمر نفسى. فقال لها: يا بنية ما هذا من رأيك، وما هو إلا رأى هذين، ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلا منهما أو تفعلى؟ فأخذا بثيابه فقالا: أجلس يا أبانا فوالله ما على هجرتك من صبر، فقالا لها: اجعلى أمرك بيده. فقالت: قد فعلت، قال: فإنى قد زوجتك من (عون بن جعفر) وأنه لغلام، وبعث لها بأربعة آلاف درهم، وأدخلها عليه وبقيت معه حتى مات عنها قتيلا فى وقعة كربلاء، وهى مع أخيها الحسين ورجعت مع السبايا من العراق إلى الشام ثم إلى المدينة.

وفاتها - وتوفيت فى المدينة وابنها زيد فى وقت واحد وكان زيد قد أصيب فى حرب كانت بين بنى عدى خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم فى الظلمة فشجّه وصرعه، فعاش أياما ثم مات هو وأمه (أم كلثوم) وصلى عليهما عبد الله بن عمر.

٣ - السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين

نسبها - هى السيدة فاطمة النبوية رضوان الله عليها، التى سطعت فى الكون أنوارها وذاعت كراماتها وعمت بركاتها ولا عجب فهى فرع من شجرة بيت النبوة المحمدية، فهى بنت الحسين رضى الله عنه ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأمها (أم إسحق التيمية) بنت طلحة بن عبيد الله.

زواجها - ورد فى الأغانى - أن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جاء خاطبا من عمه الحسين، فقال له: يا ابن أخى، قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معى، فذهب معه حتى أدخله منزله فخيره فى إحدى أبنتيه (فاطمة وسكينه) فاختار فاطمة فزوجه إياها، وكانت رضوان الله عليها تشبه الحور العين لفرط جمالها.

وورد فى رواية أخرى: أن الحسين لما خير ابن أخيه الحسن فى إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة عند ما جاءه خاطبا خجل الحسن حياء من عمه فقال له الحسين: قد اخترت لك فاطمة بنتى فهى أكثر شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ثم تزوجت من بعد وفاة زوجها الحسن عبدالله بن عمرو.

أولادها - ولدت من ابن عمها الحسن (عبد الله) ويلقب بالمحض وسمى بالمحض لمكانه من الحسنين، وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شيخ بنى هاشم.

وقد سئل مرة: لم صرتم أفضل الناس؟ فقال؟ لأن الناس يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد، وكان متصفا

بالشجاعة والورع، ومن كلامه:

بيض حرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام

وولدت أيضا (المثنى) سيدنا إبراهيم القمر، وسيدنا الحسن المثلث وكل منهم له عقب.

وولدت أيضا لعبد الله بن عمرو محمدا والقاسم رضوان الله عليهم أجمعين.

ولما توفى زوجها الحسن المثنى حزنت عليه حزنا شديدا وضربت على قبره فسطاطا، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط، فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا.

عبادتها - كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها صوأمة قوأمة، زاهدة فى الحياة الدنيا طارحة وراء ظهرها زخرف الحياة وزينتها.

ومن كلامها رضى الله عنها: «والله ما نال أهل السفه بسفههم شيئا إلأ وقد ناله أهل المروءات، فاستتروا بجميل ستر الله»، وظلت عاكفة على عبادة ربها إلى أن توفيت رضوان الله عليها سنة عشر ومائة كما جاء فى كتب التاريخ.

كرمها - كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها، كريمة الأخلاق طاهرة الأعراق، ومما يروى عن كرمها: أن اليزيد لما جهز آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين رضى الله تعالى عنه ارسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام فى خيل سيرها معهم إلى أن وصلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لاختها السيدة سكينة: قد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك أن

تصليه بشىء؟ فقالت السيدة سكينة رضى الله عنها: والله ما معنا ما نصله به الا ماكان من هذا الحلى.

فقالت لها السيدة فاطمة: أفعلى. فأنت له بسوارين، ودملجين، وبعثتا بهما إليه فردهما، وأبى أخذهما وقال: لو كان ما صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع (كفاية)، ولكنى والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أم اليتامى - وقد اشتهرت السيدة فاطمة رضى الله عنها عند الخاص والعام (بأم اليتامى) وهذا لحنانها وعطفها. وقد روى فى ذلك أنها تكفلت بتربية سبع بنات يتامى من أنصار الحسين قتل آباؤهن فى واقعة كربلاء فعطفت عليهن وآوتهن، وعندما تشرفت أراضى مصر بنزول آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فيها أتت بهن معها ولم تتركهن ولم تفرط فيهن، وعندما انتقلن إلى الدار الآخرة دُفِنَّ بجوار مسجدها.

مسجدها - أنشا مسجد السيدة فاطمة النبوية الكائن بالدرب الأحمر بعطفة النبوية المرحوم (عباس باشا الأول)، وجعل فيه منبرا وستة أعمدة من الرخام، ودكة للمقرىء، وعمل ميضأة (حنفيات) من الرخام ومنارة وبابين أحدهما إلى (الحنفيات والآخر إلى الضريح الشريف ولا يزال قائم الشعائر للآن:

وكانت السيدة فاطمة رضى الله عنها فصيحة المنطق كريمة المعشر أدبية تنثر الدرر وتنطق بالحكم فمن قولها تنعى أبها الحسين رضى الله عنه:

«نعق الغراب فقلت من   تنعاه ويحك يا غراب»
«قال: الإمام فقالت من   قال: الموفق للصواب»
«قلت: الحسين فقال لى   بمقال محزون أجاب»

«إن الحسين بكربلا بين الاسنة والحراب»
«أبكى الحسين بعبرة ترضى الإله مع الثواب»
«ثم استقل به الجنا ح فلم يطق رد الجواب»
«فبكيت مما حل بى بعد الرضى المستجاب»

٤ - السيدة سكينة رضى الله عنها

نسبها - السيدة سكينة هى بنت سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وأمها (الرباب) بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس الكلبى الذى كان نصرانيا وجاء إلى عمر بن الخطاب فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فتولى قبل أن يصلى صلاة وما أمسى حتى خطب له الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبد الله وسكينة.

وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضى الله عنه فقالت: ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قتل الحسين رضى اللله عنه رثته بأبيات:

إن الحسين غداة الطفِّ يرشقــه ريبُ المنون فما أن يخطئ الحدقه
بكــفِّ شــرِّ عبــاد الله كلهـــم نسل البغايا وجيش المُرَّق الفسقه
يا أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم غدا وجلكم بالسيف قد صفقه
الويــل حــل بكــم إلا بمــن لحقــه صيرتمــوه لأرمــاح العــدا درقه
يا عين فاحتفلى طول الحياة دمـا لا تبك ولـدا ولا أهلا ولا رفقـه
لكن على ابن رسول الله فانسكبى قيحا ودمعا وفى إثريهما العلقه

مناقبها - وكانت السيدة سكينة سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا، وأعلاهن مقاما وأوفرهن ذكاء وعقلا وأدبا فأحرزت قصب السبق فى مضمار الأدب والتف حولها الشعراء والأدباء وكانت عفيفة تجالس العظماء من قريش وتجمع إليها الشعراء وكانت من أحسن الناس شعرا وكانت تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك و كانت الجمة

تسمى (السكينية) وهى من الحذق على جانب عظيم فمما يؤثر عنها أنها: حضرت مأتما فيه بنت عثمان بن عفان فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى إذا أذن المؤذن وقال: أشهد أن محمدا رسول الله فقالت لها سكينة: هذا أبى أم أبوك؟

فقالت بنت عثمان: لا أفخر عليكم أبدا.

وكان لها تأثير شديد فى جميع أهل عصرها الذين كانوا يحذون حذوها في جميع ما تصنعه حتى أنها كانت تخترع الأزياء فهى واضعة الطرة السكينية المنسوبة إليها المعروفة باسمها بين النساء.

وشهرتها لم تكن قاصرة على الأزياء، بل إنها اكتسبت الشهرة بما كانت عليه من الأدب العالى والمعارف الواسعة وحسن المحاضرة حتى أصبح منزلها كعبة لكل قاصد من الفقهاء والشعراء والعلماء ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم.

وكانت تستقبل الزائرين الذين كانوا يفدون على منزلها من جميع الانحاء لمحاضرتها أو التماس صلاتها أو طلب مساعدتها. وكانت تزين المجلس بحسن أدبها ووفرة ذكائها والأسئلة العديدة التى كانت تطرحها على الأدباء والشعراء الذين كانوا يحسبون لها حساباً كبيراً، لانها كانت نقادة لا تخشى فى الحق لومة لائم.

أزواجها - تزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن على كرم الله وجهه فقتل عنها «بالطف» قبل أن يدخل بها.

ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضى الله عنهما وأمهرها بألف ألف درهم وحملها إليه على بن الحسين رضى الله عنهما فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له (الرباب) وكانت تلبسها اللؤلؤ

وتقول: ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه.

ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له (قريبا). ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل.

وفاتها - توفيت السيدة سكينة رضى الله عنها بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة. وصلى عليها شيبه بن نصاح المقرى.

وقيل: سنة ١١٧ بالمدينة وهو الأرجح. وقيل: بمصر وانها مدفونة (بالمراغة) بقرب السيدة نفيسة رضى الله عنها كما جاء فى طبقات الشعرانى والمناوى، والله أعلم.

٥ - السيدة رقية رضى الله عنها
بنت الامام على

نسبها - هى بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وأمها أم حبيب الصهباء التغلبية أم ولد، كانت من سبى الذرية الذين أغار عليهم سيدنا خالد بن الوليد (بعين النمر) فاشتراها سيدنا على رضى الله عنه من سيدنا خالد واستحظى بها فأولدها عمرا ورقية الموصى إليها.

وهى مدفونة بمشهدها الموجود بتكيتها المعروفة (بتكية السيدة رقيّة) بمصر وهى بالجامع المعروف (بجامع شجرة الدر) وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفسية والمكان الذى فيه رقية عن يمينه ومكتوب علي الحجر الذى ببابه هذا البيت:

«بقعة شرفت بآل النبى وببنت الرضا على رقية»

ويعمل لها مقرأة وحضرة كل أسبوع ومولد كل سنة وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية إلى الآن.

٦ - السيدة عائشة النبوية رضى الله عنها بنت جعفر الصادق

نسبها - هى ابنة جعفر الصادق محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فأخوها موسى الكاظم وأمها حُمَّيدة.

مناقبها - كانت رضى الله عنها من العابدات، المجاهدات، وكانت تقول: وعزتك وجلالك، لئن أدخلتنى النار لاخذن توحيدى وأطوف به على أهل النار وأقول لهم: وحّدته فعذبنى.

وفاتها - توفيت رضى الله عنها سنة ١٤٥ خمس وأربعين ومائة ودفنت فى المسجد المعروف باسمها الآن بناحية(قرا ميدان) بمصر بباب قرافة مصر.

وقبرها يزار، وأهل مصر يعتقدون فيها ويتبركون بزيارتها، ومسجدها مقام الشعائر إلى الآن.

٧- السيدة نفيسة رضى الله عنها
بنت سيدى حسن الانور

نسبها - هى ابنة سيدى حسن الأنور، بن السيد زيد الأبلج ابن الحسن السبط، بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وأمها (أم ولد).

مولدها - وكان مولدها بمكة المشرفة فى يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة، ونشأت بالمدينة لولاية والدها عاملا عليها من قبل المنصور.

زواجها - لما بلغت رضى الله عنها من العمر خمس عشرة سنة رغب الناس فى خطبتها لدينها وصلاحها، وكان والدها يابى تزويجها.

وجاء السيد إسحق المؤتمن بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر ابن السيد على زين العابدين بن السيد أبى عبد الله الحسين السبط بن الامام على وابن السيدة الزهراء البتول ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبها من أبيها فلم يرد عليه جوابا فقام من عنده ودخل الحجرة النبوية وقال بعد السلام: يا رسول الله إنى خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد على جواباً وإنى لم أخطبها إلأ لخيرها ودينها وعبادتها، ثم خرج من الحجرة فرأى والدها النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى المنام يقول له:

يا حسن زوج نفسية لاسحق المؤتمن فعقد له عليها يوم الجمعة الخامس من رجب سنة إحدى وستين ومائة هجرية وكان عمرها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وإربعة وعشرين ويوما.

أودلاها - ورزقت منه القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا.

مناقبها - وكانت السيدة نفسية من الصلاح والزهد على جانب عظيم، تصوم النهار، وتقوم الليل، وكانت لا تفارق حرم النبى صلى الله عليه وسلم وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية وكانت تبكى بكاء كثيرا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول:

إلهى، وسيدى، ومولاى، متعنى، وفرحنى برضاك عنى، فلا سبب لى أتسبب به يحجبك عنى وكانت لا تأكل إلا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة.

وقالت زينب بنت يحيى المتوج بالأنوار وهو أخو السيدة نفسية خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل، ولا أفطرت بنهار فقلت لها:

ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعهن إلا الفائزين.

وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت تقرأ القرآن وتبكى وتقول: إلهى وسيدى، يسر لى زيارة خليلك ابراهيم عليه السلام، فحجت هى وزوجها إسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ثم زارت قبر خليل الرحمن عليه السلام ببيت المقدس.

قدومها لمصر - ثم قدمت إلى مصر مع زوجها وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة فى شهر رمضان، وكان لقدومها أمر عظيم فتلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ونزلت أولا عند كبير التجار بمصر - وهو جمال الدين عبيد الله بن الجماص - وكان من أصحاب البرّ والمعروف فأقامت عنده شهورا يأتى إليها الناس من سائر الآفاق للتبرك ثم حَولت إلى مكانها المدفونة فيه وهبه لها

أمير مصر (ابن الحكم).

وقد أقبل على زيارتها فى الحياة وبعد الممات خلق كثير من العلماء والخلفاء والأولياء وغيرهم. وروى أن الامام الشافعى رضى الله عنه لما دخل مصر حضر اليها وزارها وسمع عليها الحديث من وراء حجاب، ولذا كان يقال لها (نفيسة العلم) وكان فى صحبته عبد الله بن الحكم وقال لها: (ادعى لنا) أسالك الدعاء.

وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو باق إلى الآن.

وقيل: إنه لما توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه أدخلت جنازته فى دارها وصلت عليه وكانت فى موضع مشهدها الحالى ولم تزل به إلى ان توفيت.

وقيل: إن الحنفى رضى الله عنه كان يقول عند زيارتها: السلام والتحية والإكرام من العلى الرحمن على نفيسة الطاهرة المطهرة، سلالة البررة، وابنة علم العشرة الإمام حيدرة، السلام عليك يا ابنة الحسن المسموم أخى الإمام الحسين سيّد الشهداء المظلوم السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهراء وسلالة خديجة الكبرى رضى الله تبارك وتعالى عنك وعن جدك وأبيك وحشرنا فى زمرة والديك وزائريك الخ.

وفاتها - توفيت رضى الله عنها بعد موت الإمام الشافعى بأرب سنين فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة، ودفنت فى منزلها المعروف بخط درب السباع بمصر.

ويقال: إنها حفرت قبرها بيدها وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة.

وقيل: إنها لما احضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت فى حزبها إلى قوله تعالى:

(قُلْ لِمَنْ فِي السَّمواتِ وَالأرْضِ قلْ لِلِه كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحمَة).

ففاضت روحها مع قوله تعالى: الرحمة

ولما ماتت عزم زوجها على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك فسأله المصريون بقاءها عندها فأبقاها، ودفنت فى الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر القديمة رحمها الله رحمة واسعة وألهمنا رشدها وتقواها وقد رثاها أحد الفضلاء بالقصيدة الآتية التى جمعت تاريخ حياتها:

«يا مَن له فى الكون من حاجة ... عليك بالسيدة الطاهره»
«نفيسة والمصطفى جدّها ... أسرارها بين الورى ظاهره»
«فى الشرق والغرب لها شهرة ... أنوارها ساطعة باهره»
«كم من كرامات لها قد بدت ... وكم مقامات لها فاخره»
«يا حبذا سيدة شرفت ... بها أراضى مصر والقاهره»
«بنفسها قد حفرت قبرها ... حال حياة يا لها حافره»
«تتلو كتاب الله فى لحدها ... وهى لمن فقد زارها ناظره»
«حجّت ثلاثين على رجلها ... صائمة عن أكلها قاصره»
«كانت تصلى وتقوم الدجى ... دوما على أقدامها ساهره»
«عابدة زاهدة جامعة ... للخير فى الدنيا وفى الآخره»
«فى كل قطر قد سما ذكرها ... عالمة فائقة ماهره»
«والناس قد عاشوا بها فى صفا ... عيش بأيام لها زاهره»
«والشافعى قد يأتى لها ... سعيا إلى دار بها عامره»
«يرجو بأن تدعو له دعوة ... فيها لها من دعوة وافره»
«صلت عليه بعد موت وقد ... أوصى بذا فهى لها شاكره»
«سبحان من أعلى لها قدرها ... لأنها بين الورى نادره»

٨ - السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا

جاء فى كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة أنه يوجد إلى جانب قبر البويطى رضى الله عنه قبر السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

يحكى عنها حكاية طريفة وهى: أنه أصاب الناس فى زمانها قحط عظيم وكان زوجها قد مات وخلف مخدعا لا يعرف ما فيه فقالت يوما للخادمة وقد ضاق صدرها: ليت شعرى ما فى هذا المخدع؟ ففتحته فوجدت فيه شيئا ملقى فى جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ.

فقالت للخادمة: أمضى به إلى السوق لعل أن تأتينا ولو بقوت يوم فخرجت الخادمة وطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلا قائما عليه آثار الخير فنظرت إليه.

فقال: يا أمة الله مالك؟ فقصت عليه القصة فأخذه منها وغاب قليلا وجاء إليها وقال لها: تبيعينه بمائة دينار؟ فسكتت الجارية وظنت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلا وجاء إليها وقال لها: تبيعينه بمائتى دينار؟ فسكتت الخادمة وظنت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلا ثم أتى إليها وقال: ما يزيد ثمنه على مائتين وخمسين دينارا.

فقالت الجارية، يا سيدى أنا خادمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة؟ فقال، لا والله ما أنا بهازىء بها، ولا أقول إلا حقا. فقالت الجارية اقبض المال وامضى معى إلى مولاتى فقبض المال

وأتى معها إلى الدار فدخلت وعلمت السيدة فاطمة بذلك، فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب وقالت، أحق ما تقول هذه الجارية؟ قال: نعم ثم صب المال فى طرف الجارية.

فقالت السيدة فاطمة: أجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف فقال، لا والله لا ينالنى منه شىء بل ينالنى منك دعوة تكون فى عقبى الى يوم القيامة. فقالت جعل الله فى نسلك الصالحين.

فكان من نسله أبو عبد الله الحسين وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين ابن بشير الجوهرى رضى الله عنها وعنهم.

سير بعض النساء الشهيرات

١ - أروى ابنة الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها اذا خطبت أعجزت وان تكلمت أو جزت ولا غرو فانها ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة. والحصافة.

ومما يؤثر عنها قيل: إنها وفدت على معاوية بن أبى سفيان لما ولى الخلافة و كانت عجوزا كبيرة فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: يا ابن أخى لقد كفرت يد النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة فى الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا صلى الله عليه و سلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون وكان على بن أبى طالب رحمه بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عَمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك :

فقالت له: وأنت يا ابن الباغية تتكلم

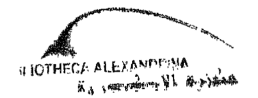
فقال مروان: كفى أيتها العجوز واقصرى لما جئت له.

فقالت له: وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم.

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك.

فقالت: مالى إليك حاجة وخرجت عنه.

وبعد خروجها التفت معاوية إلى أصحابه وقال لهم: والله لئن كلمها كل من فى مجلسى لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف وهكذا نساء بنى هاشم أصعب فى الكلام من رجال غيرهن وأمر لها بجائزة تليق بمقامها وبقيت مكرمة بين قومها إلى أن توفيت بالمدينة بخلافة معاوية.



٢ - أسماء ابنة أبى بكر الصديق

هى أسماء أبنة أبى بكر الصديق وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهى أخت عائشة لابيها وتسمى ذات النطاقين لانها صنعت للنبى صلى عليه وسلم طعاما لما هاجر فلم تجد ما تشده به [illegible] نطاقها وشدت به الطعام فدعيت ذات النطاقين.

تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة أبناء وكان عبد الله أول مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة.

ثم طلقها الزبير، فكانت من عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة سنة ٧٣ هجرية - ٦٩٢ ميلادية.

ولها شعر قليل فى رثاء زوجها وابنها ومن كلامها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج إذ دخل عليها وقال لها: يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

فقالت: أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق، واليه تعود فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية، وإن كنت أنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك وان قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين لمَ خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن فقال: يا أماه أخاف إن قتلنى أهل الشام؟ أن يمثلوا بى ويصلبونى.

قالت: يا بنى ان الشاة المذبوحة لا تتألم بالسلخ فامض على

بصيرتك واستعن بالله.

فقبل رأسها وقال: هذا رأيى والذى خرجت به راثيا إلى يومى هذا مار كنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى يا أماه فانى مقتول فى يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الأمر إلى الله فإن ابنك لم يعهد بايثار منكر ولا عمد بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى، اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ولكنى أقوله تعزية لأمى حتى تسلو عنى.

فقالت أمه: إنى لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا إن تقدمنى احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك؟

فقال: جزاك الله خيرا فلا تدعى الدعاء.

قالت: لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق.

ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة وبرة بأبيه وبى، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يدها ليقبلها فقالت: هذا وداع فلا تبعد.

فقال لها: جئت مودعا لأنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا

قالت: امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك.

فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع.

فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد؟
فقال: مالبسته إلا لاشد متنك.

قالت: أنه لا يشد متنى فنزعها ثم درج لمته وشد أسفل قميصه وجبته تحت اثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له: البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول مرتجزا:

«إنى إذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يومه الحر»
«اذ بعضهم يعرف ثم ينكر»

فسمعته فقالت: تصبر إن شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية ابنة عبد المطلب ثم حمل على القوم وقاتل حتى قتل وصلب وطلبته أمة من الحجاج فأبى عليها إعطاه نكتب لعبد الملك فسمح لها بذلك فغسلته ودفنته وبقيت بعده قليلا وماتت بعد ما أضرت وذلك فى سنة ٧٣ هجرية.

٣ - أسماء ابنة يزيد الأنصارية

هى رسول النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم روى عنها مسلم ابن عبيد: أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: بأبى وأمى يا رسول الله أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وموضع شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى بيت الله عز وجل وان أحدكم إذا خرج حاجًا أو معتمرا ومجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟

فقالوا: يا رسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا.

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها فقال: افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء ان حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت وهى تهلك حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن.

وسميت أسماء: رسول نساء العرب إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

٤ - آسية امرأة فرعون

آسية بنت مزاحم كانت من خيار النساء المعدودات تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان يحبها حبا جما لكمالها ودماثة أخلاقها فكم دفعت بلاء ودرأت مصائب وبدلت العسر يسرا حتى كانت رحمة للعباد فى زمن فرعون الفراعنة وداهية الدواهى.

فمن ذلك حادث سيدنا موسى عليه السلام، فقد جاء فى الأنباء أنه بينما كانت آسية جالسة فى حديقتها الغناء، وروضتها الفيحاء، تجرى من تحتها الأنهار اذ بتابوت قد أقبل عائما على الماء، يجرى الهُوَيْنَى حتى صار منها قاب قوسين أو أدنى، فأمرت جواريها بإخراجه لاستطلاع أمره، والوقوف على خبره.

فلما فتح إذا بداخله مولود كريم، بهى الطلعة، مليح المحيا، فحرك منها عوامل الحنان، وتملكها من أجله الرفق والإشفاق، وألقى الله عليه محبة منها فأمرت به أن يحمل إلى داخل القصر، وأن يتعهد بالعناية، ويشمل بالرعاية

ولما وصل خبره إلى فرعون أمر بقتله، لأنه كان رأى مناما قد هاله، فأحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته، وقصَّ عليهم رؤياه فحذروه من مولود يولد فى زمانه يكون سببا فى خراب ملكه، فأمر بقتل كل من يولد فى عهده من الصبيان من بنى إسرائيل، فحالت دون قتله آسية، وشفعت له عند فرعون، وقالت له: ليس لى ولا لك ولد، فلا تقتل هذا الغلام عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، فسمح به إليها أن تربية.

فلما أمنت آسية عليه سمته (موسى) وربى فى دار فرعون

حتى بلغ أشده ونال منه ما نال. وقصته معروفة.

وكانت آسية ممن آمن بموسى فيما بعد. فلما أدرك فرعون منها ذلك انقلب عليها وتبدل حبه لها عداء، ولكنها لم تعبأبه لما كانت تعلم من أنها على الحق وأن سيدنا موسى عليه السلام نبى مرسل فلم يغرها منه رخاء ولم يجتذبها إليه وعد، ولم يهددها منه وعيد، حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهى تقول:

(رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجنة وَنَجِّنِي من فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ)

وقد أجاب الله دعاءها، فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم:

(خير نساء الجنة خديجة، وفاطمة، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون).

٥ - أم الخير بنت الحريش

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب.

قيل: إن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه مجازية بالخير خيرا. وبالشر شرا بقولها فيه:

فلما ورد عليه كتابه ركب إليها، فأقرأها كتابه فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صدرى.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب الى أنه مجازينى بالخير خيرا، وبالشر شرا فما عندك؟

قالت: هذا لايطمعك برك بى أن أسرك بباطل، ولا يؤيسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم ثم أدخلها فى اليوم الرابع وعنده جلساؤه.

فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتنى بهذا الاسم.

قالت: يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب.

قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت فى مسيرك؟

قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين فى خير وعافية حتى سرت إليك؛ فأنا فى مجلس أنيق، عند ملك رفيق.

قال معاوية: بحسن نيتى ظفرت بكم.

قالت: يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تخشى عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا، أخبرينى كيف كان كلامك إذ قتل عمار ابن ياسر؟

قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدثك مقالا غير ذلك فعلت؟

فالتفت معاوية الى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟

فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال هات.

قال: كأنى بها بين بردين زائرين كثيفى النسيج، وهى على جمل أرمك، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهى كالفحل يهدر فى شقشقته تقول:

(يأيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم)، ان الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم قول الله جل شأنه:

(وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ)

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرغبة، وبيدك يارب أزمة القلوب فاجمع

اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله.

هلموا - رحمكم الله - إلى الإمام العادل، والرضى التقى، والصديق الأكبر انها احن بدرية، وأحقاد جاهلية، وَثَبَ بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بنى عبد شمس، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم، لعلهم ينتهون.

صبرا يا معاشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا علي بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمرة مستنفرة فرّت من قسورة، لا تدرى أيا يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وعما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص. إن من ضل - والله - عن الحق وقع فى الباطل، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسمعوا لها، فالله الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبى سبطيه خلق من طينته، وتفرّع من نبعته، وجعله باب دينه، وأبان ببعضه المنافقين، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الاصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرق به جميع أهوائهم، فيالها من وقائع زرعت فى القلوب نفاقا وردة وشقاقا، وزادت المؤمنين إيمانا، قد اجتهدتْ فى القول، وبالغت فى النصيحة، وبالله التوقيق والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى، ولو

قتلتك ما حرجت فى ذلك. قالت: والله ما يسوؤنى أن يجرى قتلى على يد من يسعدنى الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول فى عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير، هذا ثناؤك الذى تثنين؟

قالت: لكن والله يشهد وكفى بالله شهيدا، ما أردت بعثمان نقصا. ولكن كان سابقا إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا. قال: وما تقولين فى الزبير؟

قالت: وما أقول فى ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشا تحدثت أنك أحْلَمُها أن تعافينى من هذه المسائل، وتسألنى عما شئت من غيرها.

قال : نعم ، ونعمة عين ، قد أعفيتك منها.

ثم أمر لها بجائزة رفيعة، وردها مكرمة إلى الكوفة، وبقيت فى عز إلى أن توفاها الله.

٦ - بلقيس ملكة سبأ

اشتهرت بلقيس بقصتها المعروفة مع سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، وورد ذكرها فى القرآن الكريم وغيره من الكتب المنزلة.

واشتهرت فى كتب التواريخ بأنه كان لها مُلك عظيم، واسع الأطراف عاصمته (سبأ) فى بلاد اليمن.

وكان لها من المجد والسلطان والجمال، والعز والشرف ما يضرب به الأمثال حتى قال بعضهم: إنه كان تحت نفوذها . . ٤ أربعمائة ملك يستظلون برايتها لكل منهم جيش يبلغ أربعين ألف مقاتل.

وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم، فقيل: إنه كان سريرا ضخما من ذهب وفضة، مرصعا بالجواهر الكريمة، وكان فى جوف سبعة بيوت، عليها بسبعة أغلاق، كل بيت داخل الآخر وهو فى آخرها.

وقيل: كان مقدمة من الذهب محلى بالياقوت الأحمر، والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة مكللا بأنواع الجواهر واللآلى، وأنه وإن كان فى هذا الوصف مبالغة عظيمة إلا أنه يدل على أن ذلك العرش لم يسبق له مثيل فى الجمال والأبهة.

وأما قصتها مع سيدنا سليمان فهى تتلخص فيما يأتى:

أنه عليه السلام لما سمع بصيتها، وأوصاف عرشها قال: (يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) فجاء الهدهد، وكان قد عرف مكان بلقيس فأخبره بخبرها ودله على مكانها (وكان عليه السلام يعرف لغة الطير) فكتب لها سليمان كتابا وقال للهدهد: (أذهب بكتابى

هذا فألقه إليهم) فوافاها وهي في قصرها، فرمى الكتاب في حجرها فقرأته، فاذا به: (بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا على وأتوني مسلمين) فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين).

قالت: إني مرسلة إليهم بهدية، فإن قبلها ملكهم فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهو نبي من عند الله.

فلما قدم الوفد على سليمان عليه السلام ومعهم الهدية، ووقفوا بين يديه، نظر إليهم بوجه طلق ثم قال: (أتمدونن بمال فما آتاني الله خيرا مما آتاكم).

ثم رد الهدية، فرجع القوم وأخبروها، فعلمت أنه نبي كريم، وشخصت اليه في موكب مهيب محفوف بالجلال والعظمة وجيء اليه بعرشها.

ثم دعاها إلى الإسلام فأسلمت، وقيل: إنه تزوجها، وتوفيت قبله فدفنها بالشام بناحية يقال لها: (تدمر) وأخفى قبرها عن الناس، والله تعالى أعلم.

٧- بكارة الهلالية
مثال الشجاعة

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام. والفصاحة والشعر والنثر والخطبة.

حضرت مع سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه حرب (صفين) ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب.

قيل: دخلت على معاوية يوما وهو يؤمئذ بالمدينة، وكانت قد تقدمت في السن، وضعف بصرها، وضعفت قوتها، ترتعش بين خادمين فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام وقال لها: كيف أنت ياخالة؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال: غيرك الدهر.

قالت: كذلك، هو ذو غير،من عاش كبر، ومن مات فُقد.

فقال عمرو بن العاص: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

«يازيد دونك فاحتفر من دارنا   سيفا حساما فى التراب دفينا).

(قد كنت أدخره ليوم كريهة   فاليوم أبرزه الزمان مصونا).

وقال مروان: وهى القائلة يا أمير المؤمنين:

(أترى ابن هند للخلافة مالكا؟   هيهات ذاك وان أرد بعيد).

(منتك نفسك فى الخلاء ضلالة   أغراك عمرو للشقا وسعيد).

وقال سعيد بن العاص: وهى والله القائلة:

(قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنبر من أمية خاطبا)
(فالله أخر مدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا)
(فى كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا).

ثم سكتت [illegible] وما خفى عليك منى اكثر مما سمعت.

فضحك معاوية وقال لها: ليس يمنعنا ذلك من برك، اذكرى حاجتك.

قالت: أما الآن فلا حاجة لى.

وانصرفت، فوجه إليها معاوية بجائزة سنية لصدقها وشجاعتها.

٨ - تُماضر الشهيرة بالخنساء الشاعرة المجيدة مثال الصبر والثبات

هى ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية ابن خفاف بن امرىء القيس، وتكنى (أم عمرو)، وإنما الخنساء لقب غلب عليها، وهى الظبية وسميت فى بادئ الأمر (تماضر) لبياض لونها، إذ كانت العرب يسمى المرأة ذات البشرة البيضاء (تماضر) وقد عاشت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت أشعر أهل زملاتها، وهى من المعترف لهن بالتفوق فى هذا الميدان، وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر.

وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها، وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها.

واستحق صخر ذلك منها، لأنه كان موصوفا بالحلم، مشهورا بالجود معروفا بالاقدام والشجاعة، محفوظا فى العشيرة، وقد كان من أجمل رجال العرب.

فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمنا طويلا تبكيه طويلا وترثيه بأبلغ ما قال الشعراء فى الرثاء. وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها فمن شعرها فى رثاء أخيها صخر:

ألا يا صخر إن أبكيت عينى ... فقد أضحكتنى زمنا طويلا
بكيتك فى نساد مُعْوِلات ... وكنت أحقّ من أبدى العويلا
إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه قولها:

أعينى جــودا ولا تجمــــدا ... ألا تبكيان لصخـر النـدى
ألا تبكيان الجرىء الجميـــل ... ألا تبكيان الفتـى السيـدا
طويل النجاد رفيـع العمــاد ... ســاد عشيرتــه أمــــردا
اذا القــوم مـدّوا بأيديهــــم ... إلى المجــد مد إليـه يـدا
فنــال التـى فـوق أيديهــم ... إلى المجد ثم انتمى مُصْعِدا
ويحـمل للقــوم ما عالهـــم ... وإن كـان أصغرهم مولــدا
تـرى المجد يَهْوِىَ إلى بيتـه ... يرى أفضل المجد أن يحمدا
وإن ذكــر المجــد ألفيتـــه ... تـأزّر بالمجــد ثم ارتـــدى

ومن قولها:

يذكرنى طلوع الشمس صخـرا ... وأذكـره بكـل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولــــى ... على إخوانهم لقتلت نفسـى
وما يبكون مثل أخى ولكــن ... أعزى النفـس عنه بالتأسى

وقد قابلتها السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما مات أخوها صخر، وهى محزونة محلوقة الرأس، تدب من الكبر والضعف على عصا فسألتها عائشة:

ما الذى بلغ بك ما أرى؟ فقالت: موت أخى صخر.

فقالت: عائشة: ما دعاك إلى هذا إلا صنائع جميلة فصفيها لى؟

قالت: نعم، ذلك أن زوجى كان رجلا متلافا للأموال، يقامر بالقداح، فأتلف فيها ماله، حتى بقينا على غير شيىء، فأراد أن يسافر فقلت له: أقم وأنا آتى أخى صخرا فاسأله، فأتيته فشكوت إليه حالنا، وقلة ذات أيدينا، فشاطرنى ماله.

فانطلق زوجى فقامر به، فقُمر حتى لم يبق لنا شىء، فعدت

إليه فى العام المقبل أشكو إليه حالته، فشاطرنى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى.

فلما كان فى الثالثة أو فى الرابعة خلت بصخر امرأته فعدلته ثم قالت: إن زوجها مقامر، وهذا مالا يقوم به شىء فإن كان ولابد من صلتها فأعطها خمس مالك، فإنما هو متلف، والخير فيه والشر سيان، فلم يرض صخر بذلك، بل شطر ماله شطرين وأعطانى أفضلها، فلما مات صخر أصبحت على ما ترينه، وحق لى البكاء والعزاء.

ولما قدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلمها أى دعاها للإسلام فأسلمت، واستنشدها فأنشدت، فأعجب بشعرها وهو يقول: هيه ياخنساء ثم انصرفت ولم تنقطع عن أوجاعها وأناتها حتى بعد الاسلام بل كانت تقص شعرها، وتلبس ثوبا حلقا من الجنس الأسود، وتندب أخويها على عادة العرب فى جاهليتها.

فلما رآها سيدنا عمر بن الخطاب ذات يوم أثناء طوافها بالكعبة وهي على هذه الحال تقدم إليها ونصحها كثيرا فأجابته: لم تصب امرأة بمثل ما أصبت به، فكيف أتحمل مضضى فراق فارسين فقدتهما؟ فأجابها عمر بما هونّ عليها المصيبة، وذكر لها أن مصائب كثير من الناس أشد هولا لو اطلعت على بواطن أمرهم، وقال لها: إن ما هى عليه، من الحداد من بدع الجاهلية التى حرمها الاسلام فامتثلت أمره. وكانت رحمها الله صادقة الإيمان، باسلة مقدامة، فمما يؤثر عنها أنه لما سارت جيوش العرب لفتح بلاد فارس انضمت إليهم ومعها أبناؤها الأربعة.

وحضرت وقعة (القادسية) المشهورة، وفى ليلة الواقعة صارت

تزودهم بالنصيحة، وتذكى حميتهم، ومما قالته لهم:

(يابنى انكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، فأعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية، اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون».

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، فيمموا وطيسها تظفروا بالغنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة) فلما أضاء لهم الصبح بادروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فلما بلغها الخبر قالت:

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين وقتئذ يعتيها أرزاق بنيها الأربعة وكان لكل منهم مائة درهم إلى أن ماتت رحمها الله وأصبح يضرب بها المثل فى الصبر والثبات.

٩ - جميلة بنت ثابت بن أبي الافلح الانصارية
امرأة عمر بن الخطاب

هي أخت عاصم بن ثابت. امرأة عمر بن الخطاب تكنى أم عاصم بابنها عاصم بن عمر بن الخطاب سمته باسم أخيها.

وكان اسمها عاصية فلمّا أسلمت سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة.

تزوجت عمر سنة ٧ من الهجرة فولدت عاصما، ثم طلقها عمر فتزوجها يزيد بن حارثة فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لأمة.

وقيل: ان عمر ركب إلى قبيلتها فوجد ابنه عاصما يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر فنازعته إياه حتى انتهى إلى أبي بكر الصديق فقال له أبو بكر خل بينه وبينها، فما راجعة وسلمة إليها لكونها حاضنته. وكانت جميلة إذ ذاك متزوجة بيزيد بن حارثة.

١٠ - خولة بنت الازور الكندى

هى أخت ضرار بن الأزور، وكانت مشهورة بالشجاعة والجمال، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها فى خلافة أبى بكر الصديق، وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة، ولها وقائع مشهورة.

فمن وقائعها ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى وقعة (صحورا) من أعمال الشام، فقد جمعت النساء وقامت فيهن خطيبة، وكانت هى من ضمن المأسورات، فقالت.

يا بنات حمير، وبقية تبع، أترضين لا نفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك؟ فأين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر؟ وإنى أراكن بمعزل عن ذلك، وإنى أرى القتل عليكن أهون من هذه الاسباب، وما نزل عليكنّ فى خدمة الروم.

فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية: صدقت والله يا بنت الازور نحن فى الشجاعة كما ذكرت، وفى البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام، والمواقف الجسام، ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل، وهجوم الليل، غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح.

فقالت خولة: يا بنات التبابعة خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب.

فقالت عفراء بنت غفار: والله ما دعوت إلا إلى ما هو أحب الينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الاخبية،

وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمودا وسمعت من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة ومسلمة بنت زارع وغيرها.

فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم، وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدى الروم، وخرجت وهى تقول:

(نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر).

(لاننا فى الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر).

ووقائعها كثيرة، وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر، وعمرت طويلا وكانت وفاتها فى أواخر خلافة عثمان بن عفان رحمها الله رحمة واسعة.

فعلى مثل هذا يأسف الدهر وعلى نهجها يحمد السير.

١١ - الخيزران ابنة عطاء
(أم الهادى والرشيد)

كانت ذات جمال، وبهاء وكمال، اشتراها محمد أبو عبد الله المهدى بمائة ألف درهم، واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه لما لها من الأدب واللطف، وقد أخذت من قلبه مكانة عظمى، وولدت له موسى الهادى، وهارون الرشيد، وقد تقدمت فى خلافة ولدها موسى الهادى، حتى انها شاركته فى الأحكام من كثرة تداخلها معه فى أمور المملكة، وكان كثير الطاعة لها: مجيبا لما تسأله من الحوائج للناس، فكانت المواكب لا تخلو من بابها، وفى ذلك يقول أبو المعافى:

يا خيـزران هنـاك ثم هنـاك ان العبـاد يسوسـهم ابنـاك

وذكر المسعودى: كانت الخيزران أم الهادى والرشيد فى دارها المعروفة (بأساس) وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بنى هاشم، وهى على بساط أرمنى، وهنَّ على نمارق أرمنية، وزينب بنت سليمان بن على أعلاهن مرتبة، فبينا هى كذلك إذ دخل خادم لها فقالت: بالباب امرأة ذات حسن وجمال، فى أطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم، وتروم الدخول عليكم، وقد كان المهدى تقدم إلى الخيزران بان تلزم (زينب بنت سليمان بن على) وقال لها اقتبسى من آدابها، وخذى من أخلاقها، فإنها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم: ائذن لها، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال، فى أطمار رثة، فتكلمت فأوضحت عن بيان لسان فقالوا لها: من أنت؟ قالت: أنا (مزينة امرأة مروان

بن محمد) وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ووالله ما الأطمار الرثة التي عليّ إلا عارية.

وأنكم لما غلبتمونا على هذا الأمور وصار لكم دوننا، لم نأمن مخالطة العامة، على ما نحن فيه من الضرر، على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف، فقصدناكم لنكون فى حجابكم على أية حالة كانت، حتى تأتى دعوة من له الدعوة، فاغرورقت عين الخيزران ونظرت إليها زينب بنت سليمان بن على، فقالت: لا خفف الله عنك يا مزينة، أتذكرين وقد دخلت إليك (بحرآن) وأنت على هذا البساط بعينه، فكلمتك عن جثة إبراهيم الإمام فانتهزتنى وأمرت بإخراجى وقلت ما للنساء والدخول على الرجال فى آرائهم، فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك، لقد دخلت إليه فحلف أنه ما قتله، وهو كاذب وخيرنى بين أن يدفنه أو يدفع إليّ جثته وعرض على مالا فلم أقبله، فقالت مزينة: والله ما نظن هذه الحالة أدتنى إلى ما ترينه إلا بالفعل الذى كان منى، وكأنك استحسنتية فحرضت الخيزران على فعل مثله، إنما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير، وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها وتصون بها دينها ثم قالت لزينب: يا بنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا فى العقوق، فأحببْت التأسى بنا، ثم ولت باكية، فغمزت الخيزران بعض جواريها، فَعدلت بها إلى بعض المقاصير، وأمرت بتغيير حالها، والإحسان إليها فلما دخل المهدى عليها، وقد انصرفت زينب، وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل عشية، قصت الخيزران عليه قصتها، وما أمرت به من تغيير حالها، فدعا بالجارية التى ردتها، فقال لها: لما رددتيها إلى المقصورة، ما الذى سمعتيها تقول؟ قالت: لحقتها فى الممر الفلانى، وهى تبكى فى

خروجها مؤتسية، وهى تقرأ: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)، ثم قال للخيزران: والله، والله، لو لم تفعلى بها ما فعلت ما كلمتك أبدا، وبكى بكاء كثيرا، وقال اللهم إنى أعوذ بك من زوال النعمة وأنكر فعل زينب، وقال: لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت ألا أكلمها، ثم بعث إليها بعض الجوارى إلى مقصورتها، التى أخليت لها، وقال للجارية: أقرئى عليها السلام، وقولى لها: يا بنت عم، إن أخواتك قد اجتمعن عندي، ولولا أنى ابن عمك لجئناك، فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى، وقد حضرت زينب بنت سليمان، فجاءت (مزينة) تسحب أذيالها، فأمرها بالجلوس، ورحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سلمان ابن على، ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم، وأيام الناس، والدولة وتنقلها فما تركت لأحد فى المجلس كلاما فقال لها المهدى: يا بنت عم والله لولا أنى لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم فى أمرنا شيئا لتزوجتك، ولكن لا شىء أصون لك من حجابى، وكونك مع أخواتك فى قصرى، لك ما لهن، وعليك ما عليهن، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر، فيما حكم به على الخلق، ثم أقطعها مثل مالهن من الاقطاع وأخدمها وأجازها، فأقامت فى قصره إلى أن قضى المهدى، وأيام الهادى، وصدر من أيام الرشيد وماتت فى خلافته لا يفرق بينهما وبين نساء بنى هاشم.

فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا، وأخرجها بمشهد يليق بمثلها.

وكلمت الخيزران ولدها الهادى ذات يوم فى أمر فلم يجد إلى

اجابتها فيه سبيلا، فاعتل عليها بعلة فقالت: لابد من اجابتي قال: لا أفعل قالت: فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال: ويل لابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها لا قضيتها لك. قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبدا.

قال والله لا أبالي، وقامت مغضبة.

فقال: مكانك، فاستوعي كلامي والله وإلا نفيت من قرابتي من رسول الله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لأضربن عنقه، لأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو إلى بابك كل يوم، أمالك مغزل يشغلك؟ أو مصحف يذكرك؟ أو بيت يصونك؟ إياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمي، فانصرفت وما تعقل ما تجيب، فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها.

ثم إنه قال لأصحابه: أيما خير أنا أم أنتم:؟ وأمي أم أمهاتكم؟

قالوا: بل أنت وأمك خير. قال: فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال: أم فلان فعلت وصنعت و؟ قالوا لا نحب قال: فما بالكم تأتون منزل أمي فتتحدثون بحديثها؟ فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها، وبعد مدة من الزمن تناست هذه الحادثة، فبعث الهادي بأرز إلى الخيزران وقال له: قد استطبتها فكلي منها، فقيل لها: أمسكي حتى تنظري، فجأوا بكلب فأطعموه، فسقط لحمه لوقته، فأرسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما أكلت منها، ولو أكلت منها لاسترحت منك متى أفلح خنيفة له أم؟

وكان سبب وفاة الهادي من قبل أمه الخيزران، كانت أمرت الجواري بقتله للسبب عينه، وقيل: كان السبب في أمرها بذلك أن الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران

على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض و أمرتهن بقتله فقتلوه بالغم والجلوس على وجهه فمات فأرسلت إلى يحيى بن خالد تعلمه بموته، وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون، إلا أنها اقتصرت عن التدخل فى الأحكام، حتى أدركها الوفاة فى خلافة المأمون، وأخرجت باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء رحمها الله تعالى.

١٢- الدارمية الحجونية

كانت فصيحة اللسان، بليغة البيان غير هيابة فى المقال، لا يسألها أحد سؤالا إلا جاوبته بأحسن جواب، وأقنع خطاب.

قال أبو سهل التميمى: لما حج معاوية سأل عن امرأة من بنى كنانة تنزل (بالحجون) يقال لها (دارمية) وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها، فقال: ما جاء بك يا ابنة حام. فقالت: لست بابنة حام، أنا أمراة من بنى كنانة وأنت طلبتنى قال: صدقت، أتدرين لم بعثت اليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: بعثت إليك أسألك عَلاَم أحببت علياً وأبغضتنى، وواليته وعاديتنى؟ قالت: أو تعفنى؟

قال: لا أعفيك. قالت: أما إذا أبيت فإنى أحببت علياً على عدله فى الرعية، وقسمته بالسوية وأبغضتك على قتال.

من هو أولى منك بالأمر، وطلبك ما ليس لك به حق، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل بيته.، وعاديتك عن سفك الدماء، وجورك فى القضاء وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك؟ وعظم ثدياك، وربت عجيزتك.

قالت: يا هذا، بهدو الله كان يضرب المثل فى ذلك.

قال معاوية: يا هذه أربعي فانا لم نقل الا خيرا، انه اذ انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا اعظم ثدياها تروى رضيعها، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها.

فلما سمعت ذلك رجعت وسكن غضبها، ثم قال لها: يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت: نعم. رأيته. قال: فكيف رأيته؟ قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمة التى شغلتك.

قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله، فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ من الطست.

قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟

قالت: أو تفعل اذا سألتك؟ قال: نعم. قالت: تعطينى مائة ناقة حمراء فيها جملها وراعيها.

قال: ماذا تصنععين بها؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحى بها الكبار، وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر.

قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علىّ بن أبى طالب؟

قالت: سبحان الله أو دونه، فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم؟
خذيها هنيئا واذكرى فعل ما جد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان علىُ حيا ما أعطى منها شيئا.

قالت: لا والله، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين، ثم أخذتها وانصرفت.

١٣- رابعة العدوية
ابنة اسماعيل البصرية العدوية

كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا، وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، ،كانت ترد ما أعطاه الناس لها، وتقول: مالى من حاجة بالدنيا، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها الخلال-البالى تكاد تسقط اذا مشت.

وكان كنفها لم يزل موضوعا أمامها، وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، وسمعت رضى الله عنها (سفيان الثورى) يقول: واحزناه فقالت:

واقلة حزناه؟ ولو كنت حزينا ما هناك العيش.

ومناقبها كثيرة رضى الله عنها ومشهورة، وجاء فى ترجمتها لابن خلكان أنها كانت من أعيان عصرها، وأخبارها فى الصلاح والعبادة مشهورة، وذكر أبو القاسم القشيرى فى الرسالة: أنها كانت تقول فى مناجاتها: (إلهى تحرق بالنار قلبا يحبك؟) فهتف بها مرة هاتف (ما كنا نفعل هذا فلا تظنى بنا ظن السوء).

وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها فى المنام تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور. وكانت تقول: ما ظهر من أعمالى لا أعده شيئا. ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم. وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردى فى كتاب عوارف المعارف هذين البيتين:

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحث جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

وكانت وفاتها فى سنة ١٣٥ هـ ذكره ابن الجوزى فى شذور العقود وقال غيره سنة ١٨٥ هـ .

رحمها الله تعالى. وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقية على رأس جبل يسمى (الطور). وذكر ابن الجوزى فى كتاب (صفوة الصفوة) فى ترجمة رابعة المذكورة باسناد له متصل إلى عبده بنت أبى شوال قال: وكانت من خيار اماء الله تعالى، وكانت خادمة رابعة تقول: كانت رابعة تصلى الليل كله، فاذا طلع الفجر هجمت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول، اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة: يا نفس إلا لصرخة يوم النشور؟ وكان ذلك دأبها مدة حياتها حتى ماتت.

ولما حضرتها الوفاة دعتنى وقالت يا عبدة، لا تؤذنى بموتى أحدا وكفنينى فى جبتى هذه، وهى جبه من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، قالت: فكفنتها فى تلك الجبة، وفى خمار من صوف كانت تلبسه ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة استبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر، لم آر شيئا قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة ما فعلت بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إن الله نزعة عنى، وأبدلت به ما ترينه على، فطويت أكفانى وختم عليها، ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة. فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا، فقالت: وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه؟ فقلت لها: ما فعلت (عبيدة بنت أبي كلاب) فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلا، فقلت: وبم؟ وقد كنت عند الناس أكبر منها. قالت: إنها لم لتكن تبالى على أى حال

أصبحت من الدنيا أو أمست.

فقلت لها: فما فعل أبو مالك؟ أغنى ضيغما. قالت: يزور الله عز وجل متى شاء قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يؤمل، قلت فمريني بأمر أتقرب به من الله عز وجل. قالت: عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك. رحمها الله تعالى.

وكان الحسن البصرى توفيت زوجته فأراد زوجه، فقيل له عن رابعة العدوية فإرسل اليها يخطبها، فردته وقالت:

راحتى يا إخوتى فى خلوتى   وحبيبى دائما فى حضرتى
لم أجد لى عن هواه عوضا   وهواه فى البرايا محنتى
حيثما كنت أشاهد حسنة   فهو محرابى إليه قبلتى
ان أمت وجدا وما ثم رضا   واعنائى فى الورى واشقوتى
يا طبيب القلب يأكل المنى   جد بوصل منك يشفى مهجتى
يا سرورى يا حياتى دائما   نشأتى منك وأيضا نشوتى
قد هجرت الخلق جمعا أرتجى   منك وصلا فهو أقصى منيتى

وكانت تقول مرة: إلهى، ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا فى جنتك، بل حبا لك، وقصد لقاء وجهك، وتنشد:

أحبك حبين حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذلك
فأما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له   فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

مثال من زهد رابعة العدوية

روى: أن محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم كل يوم، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها، فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها: بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإن الله تعالى (قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم، وليس تمضى الأيام والليالى حتى أتمها مائة ألف، وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبينى).

فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابى هذا فهيىء زادك، وقدم لمعادك، وكن وصى نفسك، ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك، فصم الدهر، وليكن فطرك الموت.

وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ما سرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين.

وفى هذه الحكاية إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان وخسران فانظروا كيف كان زهد رابعة العدوية فى الدنيا واشتغالها بذكر الله.

١٤ - رحمة زوجة نبى الله أيوب عليه السلام

هى بنت (أفرايم بن يوسف بن يعقوب) عليهما السلام، كانت من النساء الصالحات الطائعات لازواجهن، وقد اتصفت من دون النساء بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حين لم يبق له مال، ولا ولد، ولا صديق ولا أحد يقربه غيرها، فانها صبرت معه على مضض ذاك البلاء الشديد، وكانت تأتيه بطعام وشراب ويبيتان يحمدان الله سبحانه وتعالى، ويرجوان منه عفوا على ما نالهما من البلاء.

فلما كانت فى بعض الأيام تمثل لها إبليس فى صورة رجل فقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ فقالت: هو ذاك مبتلى فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون جزعة فوسوس لها، وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا، فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت، فأتى بسخلة وقال لها. ليذبح أيوب هذه لى وسيبرأ، فجاءت تصرخ وقالت: يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك، أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد؟ وأين جسمك الحسن الذى قد بلى اذبح هذه السخلة واسترح.

فقال لها أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبتيه، أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة. من أنعم علينا به؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت كذا سنة. قال: فمنذ كم ابتلانا الله؟ قالت: منذ سبع سنين. قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك إلا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا كما

كنا فى الرخاء، والله لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتنى أن أذبح لغير الله. طعامك وشرابك الذى تأتينى به علىّ حرام، لا أذوق مما تأتينى به بعد إذ قلت هذا، فاغربى عنى لا أراك، فطردها.

فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال: (رب إنى مسنى الضر) ثم رد الأمر إلى ربه فقال: (وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فركض فنبعت عين ماء فاغتسل، فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط بأثره، وأذهب الله عنه كل ألم وداء، وكل سقم، وعاد عليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى، وجعل يلتفت يمينا وشمالا فلم ير شيئا مما كان من أهل وولد ومالا إلا وقد ضاعفه الله تعالى.

فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن رحمة قالت: أرأيت إن كان قد طردنى إلى من أكله؟ أأدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع، فوالله لأرجعن إليه، ثم رجعت، فإذا حال أيوب قد تغيرت فجعلت تطوف وتبكى، وذلك بمرأى من أيوب، فأرسل إليها أيوب فدعاها وقال لها: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذى كان هنا، لا أدرى أضاع أم ماذا أفعل به؟

فقال أيوب عليه السلام: ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلى فهل رأيته؟ فقال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه. ثم إنها جعلت تنظر إليه وقالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا. قال: فأنا أيوب أمرتنى أن أذبح لإبليس، فإنى أطعت الله وعصيت الشيطان، فرد على ما ترين، فاعتنقته

فقيل: إنها ما فارقته من عناق حتى مر بها ما كان لهما من المال والولد.

فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأن يجلد رحمة، فأمره الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا ويضربها ضربة واحدة كما قال تعالى:

(وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الآية

وقيل: كانت رحمة تكسب له ما تعمل للناس فتبيعه وتجيئه بقوته، فلما طال عليها البلاء وسئمتها الناس، فلم يستعملها أحد التمست يوما من الأيام تطعمه فما وجدت شيئا، فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به.

فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته الخبر، فحزن عليها، وشكر صنيعها.

١٥ - زبيدة أم الأمين
بنت جعفر بن أبى المنصور العباسي

فى العصر الثانى للهجرة النبوية ولدت بطلة من بطلات الاسلام زادت نور عصرها إشراقا (هى السيدة زبيدة).

نشأت زبيدة فى مهد الدولة العباسية، فكانت مهبط الحب، وموطن العناية، والتجلة والإعزاز، من قلوب بنى العباس، لاسيما جدها (المنصور) ركن الدولة العباسية، وعميدها الأجل، فقد كان يؤثرها بقلبه، ويختصها بحب فوق كل حب، وهو الذى لقبها (بزبيدة) لما رأى من بضاضتها ونضارتها، فغلب عليها هذا اللقب، وصارت تسمى به دون اسمها الحقيقى، وكانت تسمى (أم العزيز) وكانت تكنى (أم جعفر).

وقد قام جدها بتربيتها، فأحسن أدبها، وعلمها القرأة والكتابة، وحفظها الأخبار والسير والشعر، فشبت كلفة بالشعر، والهة بالأدب، حتى كانت تزين حوائط غرفتها بالسجف (الستائر) الموشاة بالنظم البديع، والأبيات الرائعة.

وكانت ذات ملامح جذابة، وجمال خاص بنساء عصرها، فاشتهر عنها الأدب والكمال، مع علو النسب، حتى صار يضرب بها المثل فى الأندية العالية والمجامع الراقية.

وقد ظهر من إعزازها والمغالاة بشأنها يوم أن زفت على ابن عمها الرشيد فقد عقد له عام ١٦٥ هجرية وهى فى السابعة عشرة من عمرها، وتمت حفلة قرانها بأبهة خارقة للعادة لا يتسع لها مجال الخيال. فكانت من أبدع الحوادث التى يرويها التاريخ

بإسهاب وإطناب، يقصر دونها كل قول ووصف، وقد نالت تلك الحادثة استحسان جمهور المسلمين المنتشرين فى أصقاع العالم، ووقعت من نفوس كبرائهم وأمرائهم موقع الاستحسان، فتهافتوا على هذه الأميرة الهاشمية بأنواع الهدايا، وأصناف المجوهرات والطيب، وأدوات الزينة استجلابا لرضاها ورغبة فى حظوتها.

وما كاد يمضى على زواجها أربعة أعوام حتى ولدت له (محمد الأمين) ثم بعد ذلك بعام واحد أى سنة ١٧٠ هجرية تقلد الرشيد زمام الخلافة بعد أخيه موسى وهو فى العشرين من عمره.

وكانت الأميرة زبيدة وسيمة الطلعة، طويلة القد، بضة (ناعمة) الجسم، بيضاء اللون ذات عينين براقتين، وفم صغير، فخورة بأصلها وحسبها، تعتز كثيرا بانتسابها إلى الدوحة الهاشمية، وتفخر لأنها حفيدة خليفة وزوج خليفة، وأم خليفة، فكيف لا تباهى ولا تعتز؟ ومن تكون من نساء عصرها أجدر بالفخر والسؤدد منها؟

أما وفور عقلها، وفضلها ونبلها، فمما سار مسار الامثال، ومن أجل هذه المزايا التى قلّ أن تتوافر فى امرأة أخرى تربعت على عرش بغداد، وقبضت بيدها على صولجان زمنها الزاهر.

وكان لباسها المعتاد جلبابا شاملا إلى الأرض، وعلى هذا الجلباب وشاح يزينه نطاق مرصع بالجواهر، تشده بين عاتقيها وخصرها.

وكانت تمتنع عن التحلى بالاحجار الكريمة.

والجواهر النفيسة، ترفعا منها وأنفة، ورغبة فى التمييز عن عامة الناس، فما كنت ترى فى أصبعها خاتما ولا فى معصمها سوارا، ولا فى جيدها قلادة، وانما كانت نسيج وحدها فى لباسها

وزينتها، ولهذه الخصلة المتغلبة على نفسها كانت تزين بتلك اللآلئ النفيسة، التى تضن بها على أى قسم من أقسام جسمها، أحذيتها و نعالها المرصعة بخيوط الذهب.

وقد سألها ابنها المحبوب (محمد الأمين) عن ذلك ذات مرة فأجابته بوقار وشمم: (أفعل ذلك لأننى لا أريد التشبه بغيرى من النساء) أجل لقد كانت تنفر من التقليد والمحاكاة نفوراً شديداً، وهذا النفور حدابها إلى إدخال تعديل كبير فى عصابة الرأس التى ابتداعتها (العباسة) أخت زوجها الرشيد فما كانت تضع شيئا من اللآلى والجواهر فى عصابتها كما كانت تضع نساء زمنها، وإنما تضع قطعة من النسيج الأسود الرقيق بلا ترصيع ولا تطريز تزيد من هيبتها، وتكسبها كثيرا من الروعة والجلال.

وتكاد السيدة زبيدة تكون المرأة الإسلامية الأولى فى استعمال أوانى الفضة والذهب، والإكثار من اقتنائها، كما كانت نموذجا لغيرها فى اقتناء الملابس الحريرية والتأنق فى صناعتها، وكان يعجبها من الألوان الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق.

تركت بعد زواجها قصر الخلد، وانتقلت إلى قصرها الخاص المسمى (دار القرار) على شاطىء الدجلة البديع، وكان منقطع النظير فى زمانه، تحيط به حديقة غناء، تجذب الانظار بزهورها وأشجارها المثمرة الزاهرة. أما داخل القصر فكان لا يقل بهاء عن خارجه، اذ كان مفروشا بذوق خاص، وأثاث منتخب، وغرفة مزدانة كل منها بزينة تغاير ما فى الأخرى.

وكان سكان (دار القرار) لا يقلون شهرة عن شهرة القصر نفسه، فقد كانت جوارى الأميرة زبيدة من نخبة الجوارى فى عصرها من ذوات الجمال، والمعرفة بالقراءة والكتابة وإنشاء الشعر،

وبينهن مائة جارية اشتهرن بحفظ القرآن الكريم، وتلاوته ليل نهار، ولكل واحدة ورد عشر القرآن.

وكانت هذه الاميرة العظيمة متمسكة بأهداب الدين، يعجبها كثيرا سماع القرآن المبين، ومن جواريها الحافظات له، وقد اشتهر أمر هؤلاء، وصار صيتهن فى الاصقاع. ففى كتب التاريخ: ان المار بجانب قصرها يسمع أصوات ترتيلهن كطنين النحل عندما تكون على مقربة من خلاياها.

وكان لها من قلب الرشيد حمى لا يرام، اذ لبثت ربة القول فى قلبه وقصره. رغم المنافسات من جواريه العديدات، لوفور عقلها، ونبل صفاتها ومزاياها التى انفردت بها دون سواها من نسائه، فكان لا يسعى لأمر دون مشورتها، ولا يمضى فى عمل دون أخذ رأيها، وبالإجمال فإنه كان مفتونا بنفاذ لبها، ونبل خلقها، وعظمة قلبها.

كانت الأميرة زبيدة من ذوات البرّ والإحسان، وخيراتها كثيرة تجعلها من أمهات المحسنين فى الإسلام.

وكانت أموالها وأملاكها وفيرة لا تقع تحت حصر أو قياس، حتى تحدثوا عن مزارعها وضياعها فى بلاد العجم فضلا عن البلدان العربية. وقد أنشأت كثيرا من المدارس والمستشفيات، وأمرت بتأسيس الملاجىء، وحفر الآبار والعيون، وكان لها فى كل مرافق البر الأثر الجليل. ففى العام السادس والثمانين بعد المائة من الهجرة حج الرشيد مع امرأته السيدة زبيدة، وكان فى صحبته خلق كثير من الأعوان والأمراء من بينهم ولداه الأمين والمأمون ووزيره جعفر بن يحيى البرمكى. وقد أظهرت الأميرة أثناء حجها من المبرات والحسناء ما لا يدع قولا لقائل، ولا سبيلا لمفتخر، مما

أسسته من مساجد، ومكاتب، وملاجىء، ومنازل ومشارب، فكل ذلك ألسنة تنطق بخيرها العميم، أبد الدهر ومدى العمر، وهذا كله لا يقاس بمفخرتها الخالدة وهى (عين زبيدة) وبتلك العين التى حفرتها فى صحاري الحجاز الجرداء، وأجرت منها الماء إلى مكة المكرمة، قد وفرت العناء، واحتمال ضروب المشقات عن مئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يحتملون من قرب الماء ما يوقر ظهورهم. وقد كلف حفر اثنى عشر كيلو مترا من هذه العين الجارية - التى يعد مشروعها نفحة من نفحات الإله - ألف ألف وسبعمائة ألف دينار (أجمعت على هذا التقدير كل التواريخ). ومن غريب آثارها فى مكة قصر من البلور أنشأته فى نفس مكة ويعد آية الآيات فى صنعه.

ولما مات الرشيد (بطوس) كان ابنه المأمون فى مدينة (مرو) واليا على (خراسان) وكان الأمين ببغداد، وزبيدة (بالرقة) فانتشر نعى الخليفة بسرعة البرق، وسعى (صالح بن هارون) إلى الأمين بخاتم الخليفة وسيف أبيه، وكسوته الخاصة، مبايعا له حسب التقاليد والعادات.

وكان الأمين قد انتقل من قصر الخلد إلى دار الخلافة، وبايعه الوزراء والجند بالخلافة عقب صلاته وخطبته حسب العادة المتبعة.

أما الأميرة زبيدة فقد طاب لها المقام فى (الرقة) ولم تشأ أن تحضر إلى بغداد، ولكن ابنها الخليفة ألح عليها فى الحضور فلم تر بداً من إجابة دعوة ولدها المحبوب، فتوجهت إلى العاصمة فى شعبان واستقبلها ابنها باحتفال مهيب من مدينة الانبار. وكان لوصول الأميرة أثر من العظمة الخالدة التى لا يمكن نسيانها، حيث وصل موكبها بين الهتاف المتواصل، وأصوات التهليل، ومظاهر

التقدير والتبجيل، إلى بغداد، ووقف أمام قصر الخلافة، ولم يمض زمن طويل على خلافة الأمين حتى قتل فى الثامنة والعشرين من حياته، وتولى الخلافة من بعده المأمون ولهذا اضمحل نفوذ زبيدة، واضمحل شأنها، ولم يبق لعظمتها مجال، واضطرت أن تعيش فى دائرة محدودة فى سكون واستكانة، لأن (طاهر بن الحسين) قائد المأمون اضطهدها، وعمل على تعذيبها، وأذاقها ألوان التحقير والإهانة.

وهكذا، الدهر بالناس قلب، إذا صفا لأحد يوما ففى غد يتقلب. ولقد صبرت زبيدة على الأذى، وتحملت كل ذلك بصبر وثبات جأش، وانها لجديرة بالتقدير لثباتها هذا، لان زبيدة العظيمة (امرأة الرشيد) تلك التى عاشت مكرمة معززة، مرفهة طول حياتها دون أن يصيبها مكروه، أو يعكر صفو حياتها أذى، أو تسمع أو ترى ما يشعر بهوانها ومذلتها لم تذق طعم الهوان قبل ذلك اليوم.

وقد تألمت زبيدة من تلك المعاملة القاسية التى عاملها بها هذا القائد الظلوم، وعندما فرغ صبرها، وضاق ذرعها، تجلدت فأمسكت القلم بيمينها وسطرت كتابا إلى المأمون تستعطفه وتقول:

(كل ذنب يا أمير المؤمنين وإن عظم، صغير فى جانب عفوك، وكل إساءة وإن جلت، يسيرة لدى حلمك، وذلك الذى عودكة الله أطال مدتك وتمم نعمتك. وأدام بك الخير، ودفع عنك الشر والضير. وبعد فهذه رقعة الولهى، التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر، وفى الممات لجميل الذكر فإن رأيت أن ترحم ضعفى واستكانتى وقلة حيلتى، وتصل رحمى، وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا، وفيه راغبا فافعل، وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعى لديك).

ثم أضافت إلى ذلك أقوالا شرحت فيها معاملة طاهر واضطهاده

لها، وقالت فإن كان ما يفعله صادرا عن رضاك رضيت بنصيبى من الأقدار، وإن كان يعتسف بغير رأيك فإنك قادر على تغيير الحال.

وقد أرسلت الرقعة مع جارية لها تدعى (خالصة) وأوصتها أن تسلمها إلى المأمون يدا بيد، وما كاد المأمون يقرؤها حتى بكى وقال لمن حوله، قول علىّ عليه السلام عندما وصل إليه خبر استشهاد عثمان رضى الله عنه. والله ما كان ذلك برأيى ولا علمى.

ثم أجاب زبيدة بكتاب لطيف، وردّ إليها أموالها وضياعها، وعمل على رفع قدرها، وإصلاح شأنها ليمحو من نفسها أثر الأحزان التى انتابتها كما وبخ طاهرا على ما فعله.

وكتبت أبياتا للمأمون ترثى بها سوء حالها بعد فقد ولدها:

لخير امام من خير عنصر	وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الأولين وفهمهم	وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى مستهل دموعها	إليك ابن عمى من جفون ومحجر
وقد مسنى ضير وذل كآبة	وأرّق عينى يا ابن عمى تفكرى
دهمت لما لاقيت بعد مصابه	فأمرى عظيم منكر أى منكر
سأشكو الذى لاقيته بعد فقده	إليك شكاه المستضير المقهر
وأرجوك لما قد مرَّ بى مذ فقدته	فأنت لبثى خير من رب معمر
أتى (طاهر) لا طهر الله طاهرا	فما (طاهر) فيما أتى بمطهر
فأخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا	وأنهب أموالى وأضرب أدؤرى
يعز على هرون ما قد لقيته	وما مرَّ بى من ناقص الخلق أعور
فإن كان ما أبدى بأمر أمرته	صبرت لأمر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتى	فديتك من ذى حرمة متذكر

فلما قرأها المأمون بكى وقال: أنا الطالب بثأر أخي، قتل الله من قتله.

ثم إن المأمون عطف على زبيدة فجعل لها مكانا فى قصر الخلافة، وأقام لها الوظائف والخدم والجوارى.

بعد ذلك عاشت زبيدة فى عيشة راضية، ونعمة تامة، تستعد بهجتها السابقة وعظمتها السالفة، وتعمل على نسيان الإساءة التى لحقتها على يد طاهر بن الحسين تحت ظلال وارفة من نعم المأمون واحساناته المتوالية.

وبعد أن تزوج المأمون (بوران) محبوبته بست سنوات انتقلت السيدة زبيدة من دار الفناء إلى دار البقاء فى التاسعة والستين من عمرها، وكانت وفاتها ببغداد فى جمادى الأولى سنة ٣١٦ هجرية رحمها الله رحمة واسعة وتركت صفحة ممتازة ناصعة.

فالأميرة زبيدة هذه من ملكات الشرق ذات الأثر الباهر، ومن أجل نساء الإسلام ذكرا، ومن مخدرات الإسلام التى كانت عونا على رفع كلمة الشرف.

فإذا ما ذكر اسمها وجب أن يذكر مقرونا برفاهة الشرق وفخامته وما كان له من علو الشأن فى العصر الثانى للهجرة، وبالجملة لقد كانت امرأة عظيمة وسيدة أميرة.

١٦ - سارة (زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام)

كانت أحسن نساء زمانها جمالا، وأوفرهن عقلا وكمالا، تزوجت بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يحبها محبة عظيمة، وكانت لم تعصيه فى شىء ما، وبذلك أكرمها الله تعالى وكان قدم بها إبراهيم إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى، وقد وصف له حسنها وجمالها، فأرسل إلى إبراهيم عليه السلام فجاءه فقال له: ما هذه المرأة منك؟

فقال: هى أختى، وتخوف إن قال هى امرأتى أن يقتله.

فقال له: زينها وأرسلها إلى حتى أنظر إليها، فرجع إبراهيم إلى (سارة)

وقال لها: إن هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده، فانك أختى فى كتاب الله عز وجل.

ثم أقبلت (سارة) على هذا الجبار وأقام إبراهيم عليه السلام يصلى، فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده، فيبست يده إلى صدره.

فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها: سلى ربك أن يطلق يدى، فوالله لا أذيتك فقالت (سارة): اللهم إن كان صادقا فأطلق له يده، فأطلق الله تعالى يده.

وقيل: إنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فيبست يده.

فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها (هاجر) وهى جارية قبطية، فأقبلت إلى إبراهيم ومعها هاجر وهى تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون.

وكانت (سارة) قد حرمت الولد حتى شاخت وأسنت، فوهبت (هاجر) إلى إبراهيم بقولها: إنى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له (إسماعيل) عليه السلام.

وكانت (سارة) بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وبشر إبراهيم بانه سيرزقه الله بولد من سارة، وقد كان.

وحملت سارة (باسحق) وقيل: كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معا، وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم، وكان إبراهيم عليه السلام سابق بينهما، فسبق اسماعيل فأخذه وأجلسه فى حجره، وأجلس اسحق إلى جانبه، وسارة تنظر إليه فغضبت وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته فى حجرك وعمدت إلى ابنى فأجلسته إلى جانبك.

وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها، ثم ثاب إليها عقلها، فبقيت فى ذلك؟ فقال لها إبراهيم عليه السلام: اخفضيها واثقبى أذنها ففعلت، فصار ثقب الأذن سنة فى النساء.

ثم إن إسماعيل وإسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان، فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكننى فى بلد.

وأمرت إبراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها، فأوحى الله إليه أن يأتى بهما إلى مكة فذهب بهما، وتوفيت (سارة) ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة، وقيل: مائة وسبع وعشرون سنة بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان فى (جيرون) فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها، وتسمى تلك المزرعة حقل المكفيلة (فى التوراة) الحالية.

١٧- ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمى

كانت من أجمل نساء زمانها، وأوفرهن عقلا، وأثبتهن جنانا، وأعلاهن رايا، وأشدهن حزما، شاركت أخاها الحاكم بأمر الله فى إدارة شئون الملك، حتى صار يقطع الأمور عن رايها.

وقد كان الحاكم بأمر الله متصفا بالجور، والظلم، والعسف فى أمور الرعية، وغلا فى النهب والسّلب ونهك الحرمات، حتى أبغضه أهل مصر ولم يخفوا اكراهتهم له، وصاروا يلعنونه فى كل مكان، ويضرعون إلى الله أن ينقذهم من جوره.

وقد بلغ به الجنون أنه أمر باحراق مصر ونهبها انتقاما من أهلها، فأطاعه جنوده وقاتلوا أهلها أشدَّ قتال مدة يومين، وفى اليوم الثالث انضم الأتراك إلى أهل مصر وهددوه فلما رأى ذلك أمر بالكف عن القتال بعد أن أحرق جزء كبير من المدينة، ونُهبَ الكثير من بيوتها وحوانيتها، فلما أشتد غيظ الناس وحنقهم عليه، ظن أن ذلك من أخته (ست الملك) لعلمه أنها تخالط الساسة والعلماء، لرقى عقلها، وعلو كعبها فى السياسة وتدبير الأمور بالحكمة، وصائب أفكارها، فعمد من حمقه وجهله إلى قتلها واغتيال حياتها.

فلما علمت بذلك، عَوَّلت على الكيد له حفظا لحياتها وتخليصا للرعية منه، فأرسلت إلى قائد كبير، وقالت له: أنت تعلم ما يعتقده أخى فيك، وأنه متى تمكن منك لا يبقى عليك، وقد بلغ منتهى الظلم والعسف، واشتد بالعباد الأمر، وأخاف أن يقوموا عليه قومه رجل واحد فيهلك ونهلك نحن معه، وتنقرض الدولة. فراق لديه ما قالت، ثم قالت: إن الحاكم سيصعد فى هذا الجبل غدا

ولا يصحبه إلا صبى، فأقم رجلين تثق بهما يقتلانه والصبى، ثم نقيم ولده من بعده، وتكون أنت مدير الدولة وأزيد فى أقطاعك مائة ألف دينار. ثم أعطته ألف دينار للرجلين، فاختار اثنين من ثقاته وأخبرهما بالقصة، فمضيا إلى الجبل، ولما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه، وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

فلما أيقن الناس بقتله اجتمعوا إلى أخته (ست الملك) لعلمهم بكفاءتها، وثقتهم بعدلها ونزاهتها وبعد نظرها وشاوروها فيمن يخلف أخاها. فأجلست على سرير الحكم ابنة (على بن الحاكم) وهو لا يزال صبيا، وبايع له الناس ولقبوه (بالظاهر) وأنشأت (ست الملك) تدير الدولة وصية على ابن أخيها، رافعة لواء العدل بين الرعية، منصفة للمظلومين، ضاربة على أيدى البغاة والطاغين، فأحس الناس بالفرق العظيم بين حكمها وحكم أخيها، فأحبوها حبا جما، ولكنها لم تعمر طويلا، فماتت بعد أربع سنين سنة ٤١٥ هجرية.

فحزن عليها أهل مصر، ولم ينسوا فضلها العميم. أثابها الله جزاء إحسانها وأجزل لها الأجر فى دار النعيم.

١٨- شجرة الدر (عصمة الدين)

هى أول امرأة فى الإسلام تقلدت الملك، وأدارت دفة الحكم بمهارة وحسن دراية.

وكانت فى أول أمرها جارية ظريفة يحبها (الصالح نجم الدين أيوب) الملك السابع فى حكومة الدولة الأيوبية. فولدت له غلاما سمى (خليل) وتزوجها بعد ذلك وأشركها فى الحكم، وقد أظهرت قدرة خارقة للعادة فى إدارة الأمور، وكانت تمده برأيها وتعاونه بفكرها، وكانت الزوجة الصالحة شريكة العمر، وصديقة الحياة، فبدأ يشعر بقيمة هذه المعونة الأدبية. ويقدرها حق قدرها، ويسر بها.

ومن جليل أمرها أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب بناحية المنصورة فى قتاله مع الإفرنج، قامت بالامر. وكتمت موته واستدعت ابنه (توران شاه) من بلاد (القوقاز) وسلمت إليه مقاليد الأمور، وتسلطن بقلعة دمشق فى رمضان سنة ٦٤٧ هـ وقدم إلى الصالحية وأعلن يومئذ بموت الصالح نجم الدين، ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموته، بل كانت الأمور جارية على حالها، وشجرة الدر تدير أمور الدولة وتوهم الناس أن السلطان مريض ولا سبيل لوصول أحد إليه.

وكان (توران شاه) ملكا مستبدا وحاكما مغرورا، فكرهته الرعية بعد أربعين يوما من تولية الحكم، وجاهرت المماليك البحرية بعدوانه وأقسمت بالانتقام منه.

وبينما كانت (شجرة الدر) فى قصرها بالمنيل تقضى أوقات الحياة محفوفة بالعز والإجلال أرسل اليها (توران شاه) يطلب منها رد أموال أبيه وأملاكه ويهددها باستعمال القوة والعنف، فردت

عليه تقول: إنها صرفت أموال أبيه فى الجهاد المقدس، إلا أن جوابها لم يرق فى نظره، فغضب غضبا شديدا، وقابل إجابتها بلهجة عنيفة لا يليق صدورها من رجل لامرأة أبيه.

وما كانت (شجرة الدر) تنتظر مثل هذه المعاملة الخشنة، وأثارت هذه الحادثة الحنق والغيظ فى نفوس المماليك ضد (توران شاه).

وتذكرت (شجرة الدر) جميل صنعها مع ابن زوجها، وكيف أنها جاهدت فى سبيل كتمان خبر الوفاة. وكيف دبرت مجيء ولى العهد ، ومهدت له سبيل الحكم، وكانت كلما عاودتها الذكرى اشتد غضبها، وازداد هياجها، وتمردها نحوه، لانه لو لم تكن (شجرة الدر) لانفجرت قنابل الثورات فى البلاد عقب وفاة الملك الصالح، ولولا تدبيرها لساء الحال والمآل. فلا لوم عليها ولا تثريب إذا هى رفعت لواء التمرد والعصيان ضده فقد اتسعت شقة الخلاف بينهما وأخذ الذين يحتاطون (بتوران شاه) يعملون على اشتداد الأزمة وينفخون فى صدره ما يزيد النار إضراما فيقولون له:

إنما الملك والقوة فى يد (شجرة الدر) و ما أنت سوى صورة للحكم، انك لضعيف عاجز، لا تستطيع أن تتمتع بالسلطة، مادام منافسوك على قيد الحياة. ولما أساء (توران شاه) تدبير نفسه قتله المماليك البحرية، شر قتلة بعد سبعين يوما من ولايته، وبموته أنقرضت دولة بنى أيوب من مصر.

ثم اجتمع المماليك البحرية على أن يقيموا بعده فى السلطنة (شجرة الدر) باجماع الآراء أميرة لهم تحت عنوان (الملكة عصمة الدين) فأقموها بحفلة زاهرة، وحلفوا لها يمين الطاعة فى عاشر صفر، ورتبوا (عز الدين أيبك التركمانى) مقدم العسكر، فسار إلى قلعة الجبل، وأنهى ذلك إلى (شجر الدر) فقامت بتدبير

الملكة، وكانت تقطن فى سراى النيل على شاطىء النيل فى قصر بديع، وأجمل موقع من مواقع مصر.

وما كادت تتسلم زمام الحكم حتى تركت قصرها البديع وما فيه من نفائس وزخارف، وانتقلت إلى القلعة المشهورة. التى بناها صلاح الدين الايوبى، واتخذتها مقرا لحكمها. وبدأت (شجر الدر) تجمع وزراءها فى غرفة من غرف القلعة وتحضر مجلسهم (من وراء ستار رقيق) ثم عينت أحدهم وهو (عز الدين أيبك التركمانى) فى رتبة رئيس الوزراء. وكان رجلا مقداما وقائد محنكا، جرىء القلب، زكى الفؤاد، مشهور بعلمة وفضله، وحسن درايته، فعرف كيف يستولى على قلوب الشعب وينال ثقتهم كما أنه عرف كيف يفوز بالتفات الملكة وحسن تقديرها لكفاءته.

وكان الخطباء يخطبون فى يوم الجمعة باسمها على المنابر ويقولون: (احفظ اللهم الجبهة الصالحة، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، ذات الحجاب الجميل، والستر الجليل، والدة المرحوم خليل، زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب). ولم تكتف (شجرة الدر) بأن يقرأ اسمها فى خطب الجمعة بل ضربت نقودا باسمها نقشت على وجه منها: (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى الوجه الآخر، المستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين. والدة منصور خليل الخليفة أمير المؤمنين. وكانت توقع بقولها: (والدة خليل) ولقد أحدثت فى الاسلام بدعة المحمل الشريف، ففى عهدها سافر أول محمل فى الاسلام من مصر إلى الحرمين الشريفين.

وكانت (شجرة الدر) رغم مظاهر حياتها الخصوصية امرأة مسلمة ذات ميزة خاصة فى حياتها العمومية، وكانت علي علم تام بنفسية الشعب، ولم تكن حكومتها استبدادية، لا تشرع فى عمل من الأعمال حتى تعقد مجلس المشاورة ولا تصدر قرارتها إلا بعد

الرجوع إلى رأى وزرائها ومستشاريها، وإذا حدثتها نفسها بأمر تريد إبلاغه إلى الناس مباشرة أرسلت فى طلب وزيرها (ابن أيبك) وبعد المباحثة والمناقشة معه تأمر بإصدار أوامرها الملكية.

وبينما كان حكم (شجرة الدر) آخذا فى طريق الشهرة بما كان يلاقيه من إقبال الشعب ورضائه، بدأت عصابة من الناس من أتباع (توران شاه) الذين فروا إلى الشام تدس الدسائس، وتنصب شباك الفتن، حول عرشها، رغبة فى إسقاطها.

وقامت الفتن على ساق، وقدم بدأ العصاة من أهل الشام ينفخون فى أبواب النفاق، بما يرمى إلى الشقاق، بدعوى أنه لا يجوز شرعا لامرأة أن تتولى شئون المسلمين، مع أن شجرة الدر لم تأت أمرا يغضب عامة المسلمين، سواء أكان فى مصر أم فى سوريا، فضلا عن احترامها المقام الخليفة (المستعصم بالله).

وانتهت هذه الفتن بدعوة أمير حلب (الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى) وبايعوه أميرا على الديار الشامية، فسار إلى دمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة. وقد أدركت (شجرة الدر) بفطنتها وحسن درايتها حقيقة الحال، فعقدت مجلسا من أركان الدولة واستشارتهم فى الأمر، فقر رأيهم بالإجماع على أن تترك زمام الإدارة إلى (عز الدين بن أيبك) وأن يعقد له عليها عقب تنصيبه الحكم، ثم تنفذ القرار، وتعين (عز الدين بن أيبك) سلطانا على مصر، ونزلت شجرة الدر عن الملك بعد أن حكمت ثمانين يوما، وأرسلوا إلى الخليفة يشعرونه بتبدل الحال.

ولم يتغير الحال كما زعموا، بل كانت (شجرة الدر) هى الحاكمة تنهى وتأمر من وراء الستار، عقب زواجها بأمير البلاد عز الدين. تربعت (شجرة الدر) فى قلب (عز الدين) كما تربعت فى عرش مصر من قبل، فكان يخدمها خدمة جليلة، ولا يتوانى لحظة عن سلوك

السبل المؤدية إلى راحتها ومرضاتها. ولم تصل (شجرة الدر) إلى هذه المنزلة اعتباطا، ولم يحلها عز الدين من نفسه ذلك المحل إسرافا، فقد كانت امرأة زاهية زاهرة، ذات ذكاء وعلم ودراية. وكان عز الدين مفتونا بشجرة الدر منذ زواجه بها عام ستمائة وثمانية وأربعين هجرية.

وكان يحبها ويحترمها من أعماق قلبه، لذكائها، وجمالها، ومركزها وماضيها المجيد. ولكن كان له زوجة أخرى هى أم ولده الوحيد (نور الدين) عقد عليها قبل زواجه بشجرة الدر، فحكمت عليه بالابتعاد عنها بتاتا، وأمرته باحضارها وتطليقها منه فى الحال، فتم لها ما أرادت، وظلت نيران الغيرة تتأجج فى صدر عز الدين وشجرة الدر، واتسعت شقة الخلاف، بينهما، حتى انقلبت على مر الأيام إلى خصومة شديدة، انتهت بقتله، أولا بتدبير شجرة الدر فى الحمام وإخفاء جثته، ثم بقتلها.

وجاء فى كتب التاريخ أن أم نور الدين أمرت جواريها فانهلن (بالقباقيب) على شجرة الدر إلى أن ماتت شر موت، ودفنوها فى المقصورة الخاصة بها داخل المسجد المعروف باسمها بجوار السيدة نفيسة بالقاهرة، ولقد فر بعض الأغوات اللذين اشتركوا فى مقتل (عز الدين) وألقى القبض على البعض الآخر، وصلبوا داخل القلعة.

وبذلك انتهت حياة الملكة الكريمة صاحبة الخيرات العديدة، والحسنات العظيمة، التى يعدها المؤرخون خارقة من خوارق الدهماء، ولا يذكرونها إلا بالثناء، ويعرفونها بأنها كانت عاقلة، قارئة، كاتبة، ذات فطنة ودراية فالعصمة والكمال لله وحده، وسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو علي كل شئ قدير.

١٩ - زينب ابنة الإمام أحمد الرفاعى

لبست الخشن من الثياب، وتركت الطيب من الطعام والشراب، وكانت قد أرخت الحجاب، وتحلت بعبادة الملك الوهاب وقنعت بدون اليسير مع القدرة ولزمت حنين أبيها وتبعت أثر طريقته بالذل والإنكسار، والسكينة والوقار.

كان السيد أحمد رضى الله عنه يقول: كأنها خلقت رجلا والناس يظنون أنها خلقت امرأة.

وقال السيد عمر الفاروق: كنت ذات يوم عند السيد أحمد فأظهرنى على كثير من أسراره ثم أخذنى بيده ودخل بيته على رابعة فقال له: سلم عليها وأخدمها وأسألها أن تدعو لك فجاءت زينب فقبل رأسها ثم قال لى: أى عمر سلم عليها وأخدمها وأسألها أن تدعو لك ولذريتك ففعلت ذلك. ثم قلت فى نفسى الأولى أنه كان يأمرنى بالخدمة والتعظيم لرابعة فإنها أكبر سنا، فالتفت إلى السيد أحمد قدس الله سره العزيز، وقال لى: أى عمر إن الله وعدنى أن يحيى بها الآثار، ويعمر بها الديار فقالت زينب: أى سيدى تعيش أنت ويعيش السيد صالح ويجعلنى الله فداك ويحيي الله بك الاثار فقال: بل فيك فقالت: يا سيدى أنا أقعد وأحدث الناس وأجلس معهم فى المجالس. فقال لها يا زينب لا، ولكن ذريتك تتقوى إلى يوم القيامة.

إلا أن صاحب الشفاء أورد هذه الحكاية فى كتابه بغير هذا النسق قالت مريم بنت الشيخ يعقوب: قد قالت لى زينب نتعب قليلا ونستريح طويلا، السفر بعيد والطريق طويل، والجد ضعيف والزاد قليل، وليس لنا بدّ من هذا السفر لو ندركه قبل أن

يدركنا، ونستقبله قبل أن يستقبلنا لكان خيرا لنا.

قال الزبرجدى: حفظت القرآن وتفقهت، وسمعت الحديث من خالها الشيخ أبى البدر الأنصارى الواسطى: وأخذ عنها أولادها الأئمة الأعلام، وسمع منها الشيخ الكبير عمر أبو الفرج الفاروقى الكازرونى. وكانت عظيمة القدر رفيعة المنزلة.

أقبل على زروع أهل واسط وأم عبيدة جيش الجراد فالتجأ الناس إليها فتقنعت وصعدت السطح وقالت: إلهى عبيدك ساقهم حسن الظن إلى، وأنت الذى ألقيت ذلك فى قلوبهم وإنى أقل من أن أسالك ذنوبى وسواد وجهى، وأنت أكرم من أن ترد المنكسرين يا أرحم الراحمين، فزم الجراد زمة واحدة وكأنه إبل ساقها رعاتها حتى لم يبق منه جرادة واحدة.

توفيت سنة ثلاث وستمائة بأم عبيدة ودفنت بالمشهد الأحمدى المبارك رضى الله عنها.

٢٠ - صفية بنت عبد المطلب

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أم الزبير بن العوام وأمها (هالة) بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة، وهي شقيقة حمزة والعوام وحجل بنى عبد المطلب، لم يختلف فى إسلامها من عمات النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت فى الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو أبى سفيان بن حرب، فمات عنها فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة، وعاشت كثيرا، وتوفيت (بالبقيع).

ولما قتل أخوها حمزة، وجدت عليه وجدا شديدا، وصبرت صبرا عظيما. وقيل: أنها أقبلت لتنظر إلى حمزة (بأحد) وكان أخاها لامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فلقيها الزبير وقال: أى أمى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى. قالت: ولم؟ فقد بلغنى أنه مثل بأخى وذاك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن، ولأحتسبن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير إليه وأخبره بقول صفية، فقال: خلٍّ سبيلها، فأتته فنظرت إليه، واسترجعت، واستغفرت له. ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن.

وقيل: كانت صفية بنت عبد المطلب فى (فارع) حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت صفية: فمرَّ بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت (بنو قريظة) وقطعت ما بيننا وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمين فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إليها عنهم أن أتانا آت، قالت:

فقلت: يا حسان إن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى، ولا آمنة أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود، فأنزل إليه فاقتله، فقال حسان، يغفر الله يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فقلت صفية: فلما قال ذلك لم أر عنده شيئا احتجزت وأخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان، أنزل فاسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل: فقال: مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب. وهى أول أمرأة قتلت رجلا من المشركين.

وكانت شاعرة فصيحة متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل والشرف والحسب والنسب، ومن قولها ترثى النبى صلى الله عليه وسلم.

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا	وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما	لبيك عليك اليوم من كان باكيا
فدى لرسول الله أمى وخالتى	وعمى وخالى ثم نفسى وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا	سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية	وأدخلت جنات من العدن راضيا

٢١ - فاطمة بنت أسد

نسبها - فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم على ابن أبى طالب وأم اخوته طالب وعقيل وجعفر.

قيل: أنها توفيت قبل الهجرة، والصحيح أنها هاجرت إلى المدينة وتوفيت بها.

قال الشعبى: أم على فاطمة بنت أسد أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها، وقال على لأمه فاطمة بنت أسد: أكفى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء، والذهاب فى الحاجة. وتكفيك من الداخل الطحن والعجن وهذا يدل على هجرتها لأن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة.

قال الزهرى: هى أول هاشمية ولدت لهاشمى، وهى أيضا أول هاشمية ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت الحسن، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين، لا نعلم غيرهن، ثم إن هؤلاء الثلاثة لم تصف لهم الخلافة، فأما على فإنه كان من اضطراب الأمور عليه إلى أن قتل كما هو مشهور، وأما الحسن والأمين فخلعا.

وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فاطمة بنت أسد لما ماتت فى قميصه، واضطجع فى قبرها، وجزاها خيرا، فقيل له: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه قال:

إنه لم يكن بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت فى قبرها، ليهون عليها عذاب القبر.

قال الزبير: أنقرض ولد أسد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت

أسد وكان لها فضائل مشهورة، ومآثر مشكورة مذكورة فى كتب التاريخ.

٢٢ - فاطمة ابنة الخطاب

نسبها - هى فاطمة ابنة الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب.

إسلامها - وقد أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى قبل إسلام أخيها عمر، وهى كانت سبب إسلامه كما ذكره فى سيرته رضى الله عنه، وهى إحدى العشرة الذين أسلموا أول الإسلام وبقيت تعضد الإسلام، وتحرض نساء قريش على اتباعه حتى دخل فى دين الإسلام نساء ورجال كثيرون بسببها.

مناقبها - وكانت أديبة فاضلة، عاقلة، محبة للخير، كارهة للشر، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

وفاتها - توفيت فى مدة خلافة أخيها عمر بن الخطاب.

٢٣ - فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان

وكانت فصيحة زمانها، وأديبة عصرها وأوانها، ذات جمال رائق وحسن، فائق، ودين وورع لم يسبق إليه أحد من نساء بنى أمية.

تزوجت بعمر بن عبد العزيز الأموى قبل أن يتولى الخلافة، فغمرها بأمواله، وأقنعها بنواله، وهى لم تكن بأقل منه مالا، وقد عاشا فى مبدئهما عيشة الرفاهية والتنعم، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رأى أن عبأها ثقيل لا يحمله عاتقه، ومن جملة ما صنعه أنه قال لفاطمة: إن أردت صحبتى فردى ما معك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال المسلمين فإنه لهم وإنى لا اجتمع أنا وأنت فى بيت واحد، فردته جميعه، ولم تبق لها منه خلال إبرة، وبقيت معه فى عيشة التقشف والضيق مع اتساع الخلافة والملك إلى أن مات، فلما انتقلت الخلافة إلى أخيها (يزيد بن عبد الملك) قال لها: إن عمر قد ظلمك فى مالك، وإنى رددته إليك فخذيه.

قالت: كلا، والله لا آخذه فما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا. فآخذه يزيد وفرقه على أهله، وبقيت فاطمة فى حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه.

٢٤ - فاطمة الفقيهة
ابنة علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندى

كانت من الفقيهات العالمات بعلم الفقه والحديث، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون، وكان لها حلقة للتدريس، وقد أجازها جملة من كبار القوم، وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم.

تزوجت بفخر الأنام العالم العلامة (علاء الدين القاشانى) ومكثت معه زمنا طويلا، وقد ألفت المؤلفات العديدة فى التفقه والحديث، وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء والأفاضل.

وكانت معاصرة للملك العادل (نور الدين الشهيد) وطالما استشارها فى بعض أموره الداخلية، وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية، وكان دائما ينعم عليها ويعضد مسعاها.

وقد توفيت بمدينة حلب ودفنت فى مقبرة فى قبور الصالحين، وقبرها هناك مشهور (بقبر المرأة وزوجها) لأنها دفنت بعد وفاته بجانبه.

٢٥ - مسكة جارية الناصر محمد بن قلاوون

قد نشأت فى داره وصارت قهرمانة منزله يقتدى برأيها فى عمل الأعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الأعياد والمواسم وترتيب شئون الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان. وطال عمرها وصار لها من الأموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه، وصنعت برا ومعروفا كثيرا واشتهرت وبعد صيتها وانتشر.

وتقدمت عند السلطان وكانت مسموعة الكلمة عنده وعند حرمه وذلك لحسن خدمتها وصنيعها وصيانته لمنزله.

وقد صنعت مصانع كثيرة مثل مساجد وتكايا ومدارس وغير ذلك جميعها تهدم.

ومن مآثرها الجامع الذى أنشأته بخط الحنفى بمصر.

قال فيه صاحب الخطط التوفيقية:

إن سوق مكة قريب من جامع الشيخ صالح ابى حديد بخط الحنفى، له بابان منقوش بأعلى أحدهما بالرخام:

(بسم الله الرحمن الرحيم. أمرت بإنشاء هذا المسجد المبارك الفقيرة إلى الله تعالى الحاجة إلى بيت الله الزائرة إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الست الرفيعة مسكة سنة ٧٤٦) هـ .

ومنقوش بدائرة من الخارج بالحجر سورة يس.

وبه منبر مكتوب عليه: «إنما يعمر مساجد الله... الآية».

وكان الفراغ من الجامع المبارك فى شهور سنة ٧٤٦ هـ إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة.

ولما توفيت الست مسكة دفنت، وقبرها ظاهر يعرف، وإنما

الجامع معطل، وغير مقام الشعائر لتخربه حالة وجود أحكار له فى وزارة الأوقاف المصرية وفقها الله لإصلاحه وتعميره.

٢٦ - هاجر (زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام)

كانت جارية مصرية، ذات هيئة جميلة، قد وهبها فرعون ملك مصر لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام حينما كانت عنده، وقد وهبتها سارة لإبراهيم عليه السلام وقالت له:

إنى أراها امرأة وضيئة، فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا، فتزوجها إبراهيم، وقد رزقه الله منها إسماعيل عليه السلام، وذهب بهما إلى مكة، بسبب أن أسحق بن سارة تشاجر مع إسماعيل ذات يوم كما تفعل الصبيان، فغضبت سارة على هاجر وقالت: لا تساكننى فى بلد، وأمرت إبراهيم بعزلها عنها، وقد أوحى الله إليه أن يأتى بها مكة ففعل وأنزلهما موضع (الحجر) وأمرها أن تتخذ عريشا ثم قال:

(ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون).

ثم انصرف، فاتبعته هاجر، فقالت: إلى من تكلنا؟ فلم يرد عليها شيئا، فقالت: الله آمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا.

ثم انصرف راجعا إلى الشام، وكانت مع هاجر قربة ماء فنفذ الماء فعطشت وعطش الصبى، فنظرت إلى الجبال التى أدنى من الأرض فصعدت إلى (الصفا) وتسمعت، لعلها تسمع صوتا، أو ترى أنيسا، فلم تسمع شيئا، ولم تر أحدا، ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادى نحو إسماعيل، فأقبلت إليه بسرعة لتؤنسه وتحافظ عليه.

ثم إنها سمعت صوتا نحو (المروة) فسعت، وما تدرى السعى كالإنسان المجهد، فهى أول من سعى بين (الصفا والمروة) فأصبحت سنة السعى من وقتها متبعة للآن.

ثم صعدت المروة فسمعت صوتا كالإنسان الذى يكذب سمعه منه حتى استيقنت، وجعلت تدعو: يا الله قد أسمعتنى صوتا فأغثنى فقد هلكت ومن معى، فإذا هى بجبريل عليه السلام، فقال لها: من أنت؟

فقالت: سرية إبراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا.

قال: وإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله تعالى.

قال: فقد وكلكما إلى كاف.

ثم جاء بهما وقد نفذ طعامها وشرابهما، حتى انتهى بهما إلى موضع (زمزم) فضرب بقدمه ففارت عين، فلذلك يقال لزمزم (ركضة جبريل عليه السلام).

فلما نبع الماء أخذت هاجر قربة لها، وجعلت تستقى فيها تدخره فقال لها جبريل: لا تخافى الظمأ على أهل هذه البلدة فإنها (عين لشرب ضيفان الله تعالى) وقال لها: أما إن أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه.

قالوا: ومرتْ رفقة من (جرهم) تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا: إن هذا الطير لحائم على ماء، فأشرفوا فإذا هم بالماء، فقالوا لها: إن شئت كنا معك فانسناك والماء ماءك، فأذنت لهم فنزلوا بها وهم سكان مكة حتى شب إسماعيل.

وماتت هاجر قبل سيدتها سارة ودفنت فى (الحجر).

وسبق ذكر هذه القصة فى قصة إسماعيل عليه السلام، والله تعالى أعلم.

٢٧ - كريمة بنت محمد بن حاتم

جاورت بمكة المكرمة وروت صحيح البخارى عن الكشميهنى وروايتها من أصح روايات البخارى. وروت عن زاهر السرخسى وكانت تصنف كتبها وتقابل نسخها.

وهى فى الفهم والنباهة وحدة الذهن بحيث يرحل إليها أفاضل العلماء وكان لها مجلس بمكة المكرمة تجتمع فيه الطلبة والأفاضل من رجال كل علم وهى تلقى عل كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى.

وكان أكثر ميلها إلى الحديث حتى بلغت فيه حدا لم يبلغه غيرها، ولم تتزوج قط وبلغ عمرها ١٠٠ سنة وتوفيت بمكة المكرمة.

٢٨ - عائشة بنت طلحة

كانت من أجمل نساء العالمين، ومن أكملهن أدبا، وتزوجت الحسين بن على بن الحسين رضى الله عنهم فقال لها يوما: أمرك بين يديك.

«ومعنى ذلك أن يخيرها فى البقاء على عصمته أو تطلق نفسها»

فقالت له: قد كان أمرى بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه ولم تضيعه فكيف أضيعه إذا صار بيدى ساعة واحد من الزمان؟ وها أنا قد صرفته إليك ورددته عليك.

فأعجب بها وبأدبها وأمسكها على نفسه.

٢٩ - أميرة بلخ (مثال المروءة والكرم)

روى ابن بطوطة في رحلته: أن بعض خلفاء دولة بنى العباس فرض على أهل مدينة (بلخ) ضريبة من المال جسيمة جدا، وأرسل رسولا لجلب ذلك المال.

فضجت النساء من هذه الضريبة، وذهبن إلى (الأميرة) يستغثن بها، فأرسلت إلى الرسول ثوبا مكللا بالجواهر واليواقيت يساوى أضعاف الضريبة وقالت له: أذهب بثوبى هَذَا إلى الخليفة فإنى قد افتديت هؤلاء الضعفاء به، فلما ذهب الرسول إلى الخليفة وألقى الثوب بين يديه أعفاهم من الضريبة، وقال: إذا كانت هذه المرؤة توجد عند سيدة فنحن أولى بمثل هذه المرؤة ورد إليها الثوب.

فلم تشأ أن تلبس ثوبها الذى وقع عليه نظر أمير المؤمنين حياء وأدبا، فباعت نصف ما عليه من الجواهر وبنت به مسجدا ومدرسة بجانبه وأمرت بدفن النصف الثانى تحت سور المسجد حتى إذا تخرب يعثر على هذا الكنز فيعمر به.

٣٠ - علية بنت المهدى

(علية) المعروفة (بالعباسة) هى ابنة هارون الرشيد كانت من أحسن نساء زمانها خلقا وأظرفهن وأوفرهن عقلا ذات عفاف وأدب بارع.

وكان الرشيد يبالغ فى إكرامها واحترامها، وكانت شاعرة تحسن الغناء وتوقيع الألحان ولها ديوان شعر.

وكان الرشيد لا يستطيع مفارقتها ساعة واحدة.

وكانت تحضر مع (زبيدة) زوجة الرشيد فى مجلسه أثناء مقابلاته الرسمية ومحاضرته العلماء والأدباء.

٣١ - فخر النساء

هى الكاتبة البغدادية المشهورة، وكانت من العالمات المحدثات العابدات الصادقات فى الرواية، وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير.

وقد اشتهر ذكرها وبعد صيتها وألفت جملة رسائل فى الحديث والفقه والتوحيد.

٣٢ - نورجهان

كانت المديرة العامة لمملكة فارس (بلاد العجم).

فكانت تأمر بالخطبة فى المساجد وتضع الضرائب وتنظر فى أموال المملكة كل يوم، وتقابل الموظفين وأرباب الدولة وقد كتب اسمها على النقود إلى جانب اسم زوجها الملك (دار هنكير).

وكانت تساعد المحتاجين وتزوج الأيتام وتدفع عنهم المهر، وتغيث الملهوفين وتعبِّد الطرق العامة وتزين المدن بالمبانى الفخمة، وتنشىء المدارس والمستشفيات والمطاعم.

وأعظم ما قامت به هو اصدارها الأوامر الصارمة للهنود تمنعهم من تقديم الضحايا البشرية، ودفن نسائهم وهن أحياء مع أزواجهن الموتى.

وهى أول من أنشأت معرضا خيريا ومنه (سوق الشفقة) (وكانت تجتمع الأميرات وعقائل السراة والأعيان فى قصرها كل علم فى يوم (عيد النيروز) ويعرضن الأشغال اليدوية الثمينة المحكمة الصنع.

وكان يسوغ لكل واحد زيارة المعرض ويبتاع ما يشاء ابتياعه وعند نهاية المعرض كانت توزع ايراده على فقراء المملكة.

٣٣ - قطر الندى زوجة الخليفة المعتضد

اشتهرت فى الخلافة العباسية لأنها أنشأت فى قصرها حفلة كانت تجتمع فيها الأديبات الفاضلات، ونوابغ النساء فكن يتناقشن فى الموضوعات العلمية ويتطارحن الأسئلة العديدة.

ولما توفى زوجها وأفضت الخلافة بعده إلى أبنها (المقتدر) وكان حديث السن تدخلت فى الأحكام وأصبح أمر العقد والحل بيدها فكانت تقابل بنفسها الوزراء وأرباب المناصب العالية وسفراء الدول الأجانب.

وقد أنشأت مستشفى، وخصصت لنفقته السنوية سبعة آلاف دينار، وكانت تجلس للنظر فى المظالم وتنظر فى رقاع الناس كل جمعة وتحضر القضاة والأعيان وتبرز التوقيعات وعليها خطها واسمها الشريف.

٣٤ - فاطمة بنت أسعد الخليل
أحد أمراء سوريا ولدت سنة ١٢٥٦

كانت هذه السيدة ذات عقل وفطنة ونباهة وكياسة حفظت القرآن الشريف ودرست التفاسير الجمة وأخذت الدروس الفقهية والنحو والصرف والبيان على أشهر العلماء حتى فاقت نساء عصرها.

وقد نالت بحسن أدبها وكمال عقلها حظوة عظيمة عند زوجها (الأمير على بك أسعد) حتى ملكت زمام الأمور وتقلدت إدارة الأشغال المنزلية وفاقت كل نسائه.

ولشدة حزمها أشركها معه فى الأحكام واعتمد على آرائها السديدة فحكمت بالعدل بين الناس حتى أحبها الكبير والصغير والغنى والفقير لم يصرفها هذا المركز عن حبها لفعل الخير والإحسان إلى الفقراء كما كانت تفعل منذ حداثتها، بل جعلت فى دارها محلاً مخصوصاً لتربية اليتامى وأبناء السبيل.

واشتهرت بفعل الخير وقصدها المضطرون ولجأ إليها الخائفون ومع ذلك لم يرفع لها حجاب بل كانت تتعاطى الأحكام من وراء حجاب وتنظر فى الدعاوى.

ولما توفى زوجها وأخوها (محمد بك الأسعد) شرعت فى بناء دار لكل من أولادها وأولاد زوجها من غيرها وأرضت الجميع بحسن تدبيرها وسداد رايها، وخصصت من مالها شيئا لتربية اليتامى وفك كرب المكروب حتى نالت محبة القلوب.

٣٥ - ليلى العفيفة
مثال العفاف

حدّث التاريخ القديم أن (ليلى العفيفة) وصل خبر جمالها إلى ملك الفرس فى زمانها فاغتصبها من أبيها، ولما ملكتها يده تحبب إليها ولم ترغب فيه، لأنه لم يكن عربيا مثلها، ولأن له دينا غير دينها، وبقيت أسيرة عنده مدة وهى نافرة منه حتى سامها سوء العذاب والذل بسبب كراهتها اياه وحنينها إلى أهلها ووطنها حتى قالت فى ذلك

قصيدة مستغيثة بابن عمها (البراق) نذكر منها:

ليت للبراق عينا فترى ... ما ألاقى من بلاء وعنا

يكذب الأعجم ما يقربنى ... ومعى بعض حشاشات الحيا

يابنى تغلب سيروا وانظروا ... وذروا الغفلة عنكم والكرى

احذروا العار على أعقابكم ... وعليكم ما بقيتم فى الدنى

وقد كان ذلك سببا فى حصول حرب طاحنة بين العرب والفرس قتل فيها ذلك الطاغية وفك أسر ليلى ورجعت إلى أهلها موفورة الكرامة مرفوعة الرأس لعفتها وطهارتها.

«تم بحمد الله»

المراجع

١ - السيرة النبوية
٢ - أحسن القصص
٣ - الزواجر

أى أستفسار للكاتب
١٨١ طريق الحرية - الحضرة - الأسكندرية
جمهورية مصر العربية
تليفون / ٤٢١٢٢٢٢

رقم الايداع ٣٢٢١ / ٨٩

صدر للكاتب

١ - استقيظوا انها سموم	العهد الجديد	طبعتان
٢ - الصلاة لقاء مع الله	دار المطبوعات الجديدة	طبعتان
٣ - سبيلك إلى السعادة	المركز العربى للنشر	طبعتان
٤ - الجنة والنار	دار المطبوعات الجديدة	طبعتان
٥ - المرأة فى المرآة	الهيئة العامة للكتاب	طبعتان
٦ - أفلا تعقلون	مكتبة الإيمان	طبعة واحدة
٧ - صرخة مدمن وأنواع المخدرات	مكتبة الجامعة أبو ظبى	طبعة واحدة
٨ - طرائف	مكتبة الجامعة أبو ظبى	طبعة واحدة
٩ - أفاقون يروون التاريخ	مكتبة المعارف	طبعتان
١٠ - الصيام لله	الوطنية	طبعة
١١ - المسلمات الأوائل	مكتبة مدبولى	

تحت الطبع:

١ - ريجان «قبل البيت الأبيض وبعده باللغتين عربى إنجليزى»

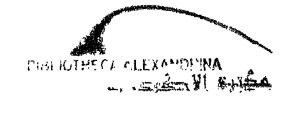
٢ - صدام حسين الحرب والسلام

٣ - نجيب محفوظ بين الأمس واليوم

٤ - الأربعة الكبار

الفهرس

اسم الموضوع	الصفحة



فى هـذا الكتاب ....

كانت الحاجة ماسة

لظهور كتاب يضم

سيرة المسلمات الأوائل

حيث الناس اليوم

يختلقون أفكار تباعد

بين القيم والحقيقة

فى عصر ...

تاهت فيه المرأة المسلمة

عن القدوة المسلمة

من بنى جنسها فكان

الرجوع للمسلمات الأوائل فضيلة

حيث بين الناس وبين الحقيقه

خصومة فى وقت

لابد وان تعود القيم

لأن

" تقوى الله من عزائم الأمور "

الـ

اسمـ‍يل



الناشر

مكتبة مدبولى